سُورَةُ المؤمنون
مكية وآياتها ثماني عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ
﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

اللغة :

(اللغو) : اللغو : كل من كان حراماً أو مكروهاً أو مباحاً لم تدع اليه ضرورة ولا حاجة ، واللغو كل مالا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه واطراحه وكل مالا يعتد به •

(لفروجهم) : الفروج جمع فرج وهو من الانسان العورة •

الاعراب :

(قد أفلح المؤمنون) قد حرف تحقيق وأفلح فعل ماض والمؤمنون فاعل • (الذين هم في صلاتهم خاشعون) الذين صفة للمؤمنون وهم مبتدأ وفي صلاتهم متعلقان بخاشعون ، وخاشعون خبر « هم » والجملة صلة الذين ، وقدم الجار والمجرور على متعلقه للاهتمام به وحسنه كون متعلقه فاصلة • (والذين هـم عن اللغو معرضون) والذين عطف على الذين وهم مبتدأ وعن اللغو متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر «هم» والجملة صلة الذين • (والذين هم للزكاة فاعلون) والذين عطف على الذين وهم مبتدأ وفاعلون خبر وللزكاة متعلقان بفاعلون وضمن فاعلون معنى مؤدون وقيـل اللام زائدة في المفعول به لتقدمـه على عامله • (والذين هم لفروجهم حافظون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وحافظون خبر ولفروجهم متعلقان بحافظون • (إلا عـلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) إلا أداة استثناء وعلى أزواجهم في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن قال الزمخشري : « من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أو والياً عليها ومنه قولهـم : فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشاً والمعنى أنهم لفروجهـم حافظون في كافة الاحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق « على » بمحذوف يدل عليه « غـير ملومين » كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك » وذهب الفراء الى أن « على » بمعنى « من » أي إلا من أزواجهم كما جاءت « من »

بمعنى « على » في قوله « ونصرناه من القوم » ، وأو حرف عطف وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة وعبر بما دون « من » وان كان المقام لها لنقصهن لأنهن السراري ، والسرية : الأمة التي بوأتها بيتاً وهي فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع أو الإخفاء لأن الانسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرّته ، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب كما قالوا في النسب الى الدهر دهري والى الارض السهلة سهلي بضم أولهما والجمع سراري وقال الأخفش هي مشتقة من السرور لأن الانسان يسرّ بها ، وعبارة المصباح : « والسرية فعلية قيل مأخوذة من السر بالكسر وهو النكاح فالضم على غير قياس فرقاً بينها وبين الحرّة إذا نكحت سراً فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس وقيل من السر بالضم بمعنى السرور لأن مالكها يُسر بها فهو على القياس » . (فإنهم غير ملومين) الجملة تعليل للاستثناء وان واسمها وغير ملومين خبرها . (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة وهذا المحذوف مفعول ابتغى أي ابتغى شيئاً كائناً وراء ذلك ولك أن تجعل وراء بمعنى خلاف فتنصبه على أنه مفعول به وذلك مضاف اليه والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والعادون خبر أولئك أو هم ضمير فصل والعادون خبر والجملة خبر أولئك . (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وراعون خبره ولأماناتهم متعلقان براعون وعهدهم عطف على أماناتهم . (والذين هم على صلواتهم يحافظون) تقدم اعرابها وهي عطف على ما تقدم . (أولئك هم الوارثون) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والوارثون خبر وقد تقدم انه يجوز اعراب هم مبتدأ ثانياً ولكن

الأحسن أن يكون للفصل للدلالة على التخصيص • (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) الذين خبر ثان أو صفة للوارثون وجملة يرثون صلة والفردوس مفعول به وهم مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون ، وخالدون خبر هم وأنث الفردوس باعتبار المعنى أن الجنة وجملة هم فيها خالدون حال •

البلاغة :

١ ــ التفصيل :

تميزت السورة ببراعة استهلالها لأنها ذكرت أحوال المؤمنين على جهة التفصيل ، والتفصيل على قسمين : متصل ومنفصل ، فالمتصل كل كلام وقع فيه أما أو ما كقوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم » الى آخر الكلام ، وأما المتفصل فهو ما يأتي مجمله في مكان ومفصله في مكان آخر كقوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون » الى قوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون » الى قوله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » فإن قوله تعالى وراء ذلك اجمال المحرمات وقد تقدمت مفسّرة في سورة النساء بقوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » الى قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلك » فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرماً من أصناف النساء ، ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفاً ومن الأجانب صنفان •

٢ ــ الطباق :

وفي قوله تعالى « الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » طباق ايجاب ، فقد جمع سبحانه للمؤمنين في هذا

الوصف بين الفعل والترك إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو وهذا كله من طباق الايجاب المعنوي ، وقد حمدوا الخشوع كثيراً ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول : اللهم زوجني بالحور العين فقال : بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث •

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)

الاعراب :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب قسم محذوف واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا فعل وفاعل والانسان مفعول به ومن سلالة متعلقان بخلقنا ، فمن للابتداء ومن طين صفة لسلالة أو متعلقان بسلالة لأنها بمعنى مسلولة ، فمن للبيان ، ولا تلتفت الى قول بعض المعربين ان الواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام فالكلام مستأنف لا علاقة له بما قبله • (ثم جعلناه

نطفة في قرار مكين) ثم حرف عطف وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به ونطفة مفعول به ثان وفي قرار مفعول به ثالث ومكين صفة . (ثم خلقنا النطفة علقة) ثم حرف عطف وخلقنا فعل وفاعل والنطفة مفعول به أول وعلقة مفعول به ثان لأن خلقنا متضمن معنى صيرنا . (فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً) الفاء حرف عطف وخلقنا فعل وفاعل والعلقة مفعول به أول ومضغة مفعول به ثان ، فخلقنا فعل وفاعل والمضغة مفعول به أول وعظاماً مفعول به ثان . (فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) الفاء حرف عطف وكسونا فعل وفاعل والعظام مفعول به أول ولحماً مفعول به ثان ثم حرف عطف وأنشأناه فعل وفاعل ومفعول به وخلقاً حال وآخر صفة فتبارك الفاء استئنافية وتبارك فعل ماض والله فاعل وأحسن بدل من الله والخالقين مضاف اليه وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف ، لأن المضاف إليه عوض من « من » وهكذا جميع باب اسم التفضيل ، ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقاً . (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) ثم حرف عطف وتراخ وان واسمها وبعد ذلك الظرف متعلق بمحذوف حال أو بميتون ، واللام المزحلقة وميتون خبر ان ، ثم انكم عطف على ما تقدم وجملة تبعثون خبر ان .

البلاغة :

١ ــ المخالفة في حروف العطف :

في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المآخذ دقيقة المعنى ، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو

خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ، ولما انتهى الى جعله ذكراً أو انثى وهو آخر الخلق عطفه بثم ، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علقة طويل ولكن الحالتين متصلتان فأحياناً ينظر الى طول الزمان فيعطف بثم وأحياناً ينظر الى اتصال الحالين ثانيهما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما فيعطف بالفاء، ومثل هذا تزوج محمد فولد له . وشيء آخر ، وهو ان صيرورة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال ومثل ذلك صيرورة النطفة علقة لاختلاف احداهما عن الاخرى اختلافاً ظاهراً ولكن صيرورة العلقة مضغة لا غرابة فيه لتقاربهما فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة » بثم ، وفي الآية التي نحن بصددها لوحظت أطوار الخلق وتباعد الأوقات بين كل طورين . وفي حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ما خلاصته : اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات يعني ان بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بثم فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جداً وكذا جعل النطفة البيضاء ماء أحمر بخلاف جعل الدم لحماً مشابهاً له في اللون والصورة وكذا تصليبها حتى تصير عظماً لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره وذلك يقتضي عطف الجميع بثم إن نظر لآخر المدة وأولها ، ويقتضي العطف بالفاء ان نظر لآخرها فقط .

٢ ــ تشبيه الرحم بالقرار :

في قوله تعالى « في قرار مكين » استعارة تصريحية فقد حذف

المشبه وأبقى المشبه به ، والمشبه هو الرحم وقد شبهه بالقرار أي موضع الاستقرار ثم وصفه بمكـــين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال أو لتمكن ما يحـل فيه كقولهم طريق سائر أي يسار فيه • وبقي ايضاح قوله تعالى «خلقاً آخر» وقد كثرت فيه الأقوال واضطربت ، وخير ما يقال فيه انه عام والمراد مباينته للخلق الأول مباينة بعيدة جداً حيث جعله حيواناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان أبكم ، وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً وكان أعمى أكمه ، وأودع باطنه وظاهره وكـل عضو من أعضائه وكـــل جزء من أجزائه عجائب لا توصف وغرائب لا تدرك •

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ
سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً
نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾

اللغـــة :

(طرائق) : جمع طريقة وهي السيرة والحالة والمذهب والخط

في الشيء ، وفي الاساس واللسان : « ووضع الاشياء طَرْقة طرقة وطريقة طريقة : بعضها فوق بعض وهي طرق وطرائق ، وطرّق طريقاً سهّله حتى طرقه الناس بسيرهم » وسميت السموات طرقاً لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة .

(طور سيناء) : وطور سنين قال الزمخشري : « لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف اليه كامرىء القيس وكبعلبك فيمن أضاف ، فمن كسر سين سيناء فقد منع من الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاء لايكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ، ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء » هذا وسيناء شبه جزيرة يحدها البحر الابيض المتوسط شمالاً وقناة السويس وخليج السويس غرباً وفلسطين وخليج العقبة شرقاً تنتهي جنوباً عند رأس محمد في البحر الأحمر ، وسيناء جبل واقع في شبه جزيرة سيناء جنوباً والمراد بالشجرة شجرة الزيتون وخصت بطور سيناء مع أنها تخرج في غيره لأن أصلها منه ثم نقلت الى غيره .

الاعراب :

(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) جملة مستأنفة مسوقة لذكر خلق السموات التي تعلو الانسان بعد ذكر خلقه واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا فعل وفاعل وفوقكم ظرف متعلق بخلقنا وسبع طرائق مفعول خلقنا وطرائق مضاف لسبع ، وما الواو حالية وما نافية وكان واسمها وعن الخلق متعلقان بغافلين وغافلين خبر كنا . (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في

الارض) وأنزلنا عطف على خلقنا ومن السماء متعلقان بأنزلنا وماء مفعول به وبقدر صفة لماء أو حال من الضمير أي بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة ، فأسكناه عطف على انزلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وفي الأرض متعلق بأسكناه • (وإنا على ذهاب به لقادرون) الواو عاطفة وان واسمها وعلى ذهاب متعلقان بقادرون وبه متعلقان بذهاب وقادرون خبر إنا واللام المزحلقة • (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) الفاء عاطفة وأنشأنا فعل وفاعل ولكم متعلق بأنشأنا وبه متعلقان بأنشأنا أيضاً أو بمحذوف حال فتكون الباء للملابسة وجنات مفعول به ومن نخيل صفة لجنات وأعناب عطف على نخيل • (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) لكم خبر مقدم وفيها حال وفواكه مبتدأ مؤخر وكثيرة صفة ومنها متعلقان بتأكلون ، وتأكلون فعل مضارع وفاعل وجملة لكم فيها الآية حال من جنات أو صفة كما هي القاعدة • (وشجرة تخرج من طور سيناء) الواو حرف عطف وشجرة عطف على جنات وجملة تخرج صفة لشجرة ومن طور سيناء جار ومجرور متعلقان بتخرج • (تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) الجملة صفة ثانية لشجرة وبالدهن في موضع نصب على الحال أي ملتبسة بالدهن ومصحوبة به ، والدهن عصارة كل شيء ذي دسم ، وصبغ عطف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ به الخبز أي يغمس فيه للائتدام به ، وللآكلين صفة لصبغ • (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها) الواو حرف عطف وان حرف مشبه بالفعل ولكم خبرها المقدم وفي الأنعام حال واللام المزحلقة وعبرة اسم ان وجملة نسقيكم تفسيرية لعبرة أو مستأنفة والكاف مفعول به ومما متعلقان بنسقيكم وفي بطونها متعلقان بمحذوف

صلة ما . (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) تقدم اعرابها قريباً فجدد به عهداً .

البلاغـة :

في قوله تعالى « وصبغ للآكلين » استعارة تصريحية شبه الادام من المائعات بالصبغ ثم حـذف المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون بلونه إذا غمس به .

وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ
فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن
يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ
إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(وعليها وعلى الفلك تُحملون) الواو عاطفة وعليها متعلقان بتحملون والضمير يعود على الابل التي هي من جملة الانعام ولأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفن البر . (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لسرد خمس قصص أولاها قصة نوح ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ونوحاً مفعول به والى قومه متعلقان بأرسلنا . (فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) الفاء حرف عطف وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وما نافية ولكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً وغيره صفة لإله على المحل وقرىء بالجر على اللفظ وهو جائز وجملة مالكم من إله غيره مستأنفة تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة ، والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على مقدر أي أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم . (فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم) الفاء عاطفة وقال الملأ فعل وفاعل والذين صفة للملأ وجملة كفروا صلة ومن قومه حال وجملة ما هذا مقول القول وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة وهذه هي الشبهة الأولى من الشبه الخمس التي ذكروها . (يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة) جملة يريد صفة وأن وما في حيزها مفعول يريد وعليكم جار ومجرور متعلقان بيتفضل والواو حالية أو استئنافية وشاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف يفهم من مضمون جواب لو أي لو

شاء انزال رسول ، واللام واقعــة في جواب لو وجملة أنزل ملائكة لا محــل لها لأنها جواب شــرط جازم وهــذه هي الشبهة الثانية . (ما سمعنا بهــذا في آبائنا الأولين) الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهتهم الثالثة وما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا وفي آبائنا في محل نصب حال أي في قصص آبائنا والأولين صفة لآبائنا . (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) جملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهتهم الرابعة وإن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ورجل خبر هو وبه خبر مقدم وجنة أي جنون مبتدأ مؤخر والجملة صفة رجل فتربصوا الفاء الفصيحة أي إن أردتــم أن تتبينوا حقيقته فتربصوا ، ويجوز أن تكون استئنافية وهذه هي شبهتهم الخامسة ، وتربصوا فعل أمر أي انتظروا والواو فاعل وبه متعلقان بتربصوا وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتربصوا أيضاً أي اصبروا عليه واحتملوه الى زمان حتى ينجلي لكم أمره عن مغبته فإن أفاق من جنته وإلا قتلتموه . (قال رب انصرني بما كذبون) كلام مستأنف مسوق لطلب الانتصاف منهم والانتصار عليهم من ربه بعد أن يئس من إيمانهــم ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحــذوفة وانصرني فعل أمر والفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول به والباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بالباء أي بسبب تكذيبهم إياي فالباء للسببية ويجوز أن تكون للبدل أي انصرني بدل تكذيبهم إياي ، كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه ، والجار والمجرور متعلقــان بانصرني . (فأوحينا إليه أن اصنــع الفلك بأعيننا ووحينا) الفاء استئنافية وأوحينا فعل وفاعل واليه متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لوقوعها بعــد أوحينا وهو فعــل فيه معنى القول دون حروفه واصنع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والفلك مفعول به وبأعيننا

حال من الضمير المستكن في اصنع أي بحفظنا وكلاءتنا ، ووحينا عطف على أعيننا أي وأمرنا . (فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) الفاء عاطفة لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب ، وجملة جاء مضاف اليها الظرف وأمرنا فاعل وفار التنور عطف على جاء أمرنا وقد تقدم بحث هذا في سورة هود . فاسلك الفاء رابطة لجواب اذا واسلك فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفيها متعلقان باسلك ومن كل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لاثنين واثنين مفعول اسلك وقد تقدم اعراب هذا في هود أيضاً . (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) وأهلك عطف على اثنين وإلا أداة استثناء ومن مستثنى متصل من موجب فهو واجب النصب وجملة سبق صلة وعليه متعلقان بسبق ، والقول فاعل ومنهم حال أي بالاهلاك . (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) الواو عاطفة ولا ناهية وتخاطبني فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به وفي الذين متعلقان بتخاطبني أي بترك اهلاكهم وذلك بعد أن لزمتهم الحجة البالغة ، وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول ، لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ، وجملة ظلموا صلة وجملة إنهم مغرقون تعليل للنهي عن المخاطبة بشأنهم وان واسمها وخبرها . (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل وجملة استويت في محل جر بالاضافة اليها وأنت تأكيد للتاء ومن عطف على التاء ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة لمن وعلى الفلك متعلقان باستويت أي اعتدلت عليه . (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) الفاء رابطة لجواب إذا وقل فعل أمر وأفرده بالأمر اظهاراً لفضله واشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم ، والحمد مبتدأ ولله خبره والجملة مقول القول وجملة القول

لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والذي صفة لله وجملة نجانا صلة ومن القوم متعلقان بنجانا والظالمين صفة للقوم .

وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ
ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ
إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

الاعراب :

(وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) الواو عاطفة وقل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وأنزلني فعل أمر للدعاء والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به ومنزلاً اسم مكان

أو مصـدر مفعول به ثان أو مفعول مطلق ومباركاً صفـة وأنت الواو حالية وأنت مبتـدأ وخير المنزلين خبر • (إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين) الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل ما ذكر وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم ولآيات اللام المزحلقـة وآيات اسم إنّ ، وإن مخففـة من الثقيلة والغالب إهمالها وكنا كان واسمها والـلام الفارقة ومبتلين خبر كنا ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن والجملة خبرها ويجوز أن تكون إن نافية واللام بمعنى إلا • (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) ثم حرف عطف للتراخي وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم حال وقرناً مفعول به أي قوماً وآخرين صفة وهم قوم عاد • (فأرسلنا فيهم رسولاً منهم) الفاء حرف عطف وأرسلنا فعل وفاعل وفيهم متعلق بارسل ورسولاً مفعول به ومنهم صفة • (أن اعبدوا الله مالكم من إلـه غيره أفـلا تتقون) أن مفسرة لأن في الارسال معنى القول دون حروفه أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ثم إن ارسال الرسل هو للتبليغ ، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في موضع نصب بنزع الخافض أي بأن اعبدوا والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا وما بقي تقدم اعرابه قريباً بنصه فجدد به عهداً • (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا) الواو عاطفة وقال الملأ فعل وفاعل ، والجملة من كلامهم الباطل معطوفة على كلامه الحق فالعطف هنا لبيان المفارقة ، وقد سبق مثل هذا التعبير في سورة الأعراف مجرداً من الواو كأنه جواب سؤال مقدر فلم يحتج اليها ، ومن قومه حال والذين صفة لقومه وجملة كفروا صلة وما بعدها عطف عليه داخل في حيزها ، وأسهب في وصفهم لبيان فداحة ما ارتكبوه من كفران للنعم وجحود للنعم المترادفة عليهـم ليورد بعـد ذلك على لسانهم شبهتـين من شبهات الملاحـدة وبنوا عليهما انكارهم البعث

والطعن في رسالته عليه السلام . (ما هــذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) ما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة وجملة يأكل صفة ثانية ومما متعلقان بيأكل وجملة تأكلون صلة ولك أن تجعلها مصدرية أي من مأكولكم وكذلك قوله ويشرب مما يشربون ، وحــذف العائد من الثاني اكتفاء بالعائد الأول وهو منه والجملة كلها مقول القول وهي تتضمن الشبهة الاولى . (ولئن أطعتــم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون) الواو عاطفــة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وأطعتم فعل وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وبشــراً مفعول به ومثلكم صفة وإن واسمها واللام المزحلقة وخاسرون خبرها ، وإذن : هذه ليست هي الناصبة للفعل المضارع وانما هي اذا الشرطية حذفت جملتها التي تضاف وعوض عنها التنوين كما في يومئذ ولهذا لا يختص دخولها على المضارع بل تدخل على الماضي وعلى الاسم وقد وردت في القرآن كثيراً مثل « إنكم إذن من المقربين » فقد دخلت هنا على الاسم ومن دخولها على الماضي قوله « وإذن لآتيناهم » وهذا تقرير عن شبهتهــم الثانية . والجملة جواب القسم لأنه المتقدم حسب القاعــدة . (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتــم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) الهمزة للاستفهام الانكــاري الاستبعادي وجملة يعدكم مستأنفــة مسوقة لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعــه بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده . ويعدكم فعــل مضارع وفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول به ثان وأن واسمهـــا ومخرجون خبرهـــا وإذا ظرف متعلق بمخرجون وجملة متم في محــل جر باضافة الظرف اليها وكنتم تراباً وعظاماً عطف على إذا متم وأنكم الثانية تأكيد للأولى لما طال الفصل بين اسم ان وهو الكاف وخبرها وهو مخرجون ولما كانت لمجرد التأكيد

اللفظي لم تحتج الى الخبر ، وهذا أحد أوجه ذكرها النحاة وسنأتي على ذكرها في باب الفوائد لأنهـا كلهـا صحيحة وما ذكرناه أسهلهـا •
(هيهات هيهات لما توعدون) هيهات اسم فعل ماض بمعنى بعد وسيأتي الكلام عليهـا مطولاً في باب الفوائد والثانية تأكيد لفظي لها واللام زائدة وما اسم موصول فاعل لاسم الفعل وهو هيهات ومحله القريب الجر باللام الزائدة ومحله البعيد الرفع على أنه فاعل هيهات ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، وسيأتي مزيد من الأوجه في اعراب هذا التركيب في باب الفوائد •

الفوائـد :

١ ـ في قوله تعالى « أيعدكم أنكم إذا متم » الآية : اختلفت آراء الأئمة النحاة والمفسرين في اعراب هـذه الآية وقد ذكرنا في الاعراب ما رأيناه أقرب الى التناول وأدنى الى المنطق وسنورد لك هنا ما قالوه لوجاهته ، ولترى ما تختار فقـال سيبويه : إن خبر « أن » الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره « أنكم مخرجون » وهو العامل في الظرف و « أن » الثانية وما في حيزها بدل من الأولى •

وذهب الجرمي والمبرد والفراء : الى أن خبر « أن » الأولى هو مخرجون وهو العامل في « اذا » وكررت الثانية توكيداً لما طال الفصل وهذا هو الوجه الذي اخترناه •

واختار أبو البقاء أن اسم الأولى محذوف أقيم مقام المضاف اليه تقـديره : أن اخراجكم ، و « إذا » هو الخبر و « أنكم مخرجون » تكرير لأن « أن » وما عملت فيه للتوكيد أو للدلالة على المحذوف •

وقيل « أنكم مخرجون » مبتدأ وخبره الظرف مقدماً عليه والجملة خبر عن « أنكم » الأولى والتقدير : أيعدكم انكم إخراجكم كائن أو مستقر وقت موتكم ، ولا يجوز أن يكون العامل في « إذا » مخرجون لأن مافي حيز « أن » لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها « متم » لأنه مضاف اليه ، وانكم ومافي حيزه في محل نصب أو جر بعد حذف حرف الجر إذ الأصل أيعدكم بأنكم ، ويجوز أن لا يقدر حرف جر فيكون في محل نصب فقط نحو وعدت زيداً خيراً .

٢ ــ هيهات :

في هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين ونذكر فيما يلي أشهرها وما قرىء به ، فالمشهور هيهات بفتح التاء من غير تنوين بني لوقوعه موقع المبني أو لشبه الحرف وبها قرأ العامة وهي لغة الحجازيين، وهيهاتاً بالفتح والتنوين ، وهيهات بالضم والتنوين ، وبالضم من غير تنوين ، وهيهات بالكسر والتنوين ، وبالكسر من غير تنوين ، وهيهات باسكان التاء ، وهيهه بالهاء آخراً ووصلاً ووقفاً ، وايهات بابدال الهاء همزة مع فتح التاء . فهذه تسع لغات وقد قرىء بهن ولم يتواتر منهن غير الأولى ، ويجوز ابدال الهمزة من الهاء الاولى في جميع ما تقدم فيكمل بذلك ست عشرة لغة ، وايهان بالنون آخراً وايها بالألف آخراً ، ويقع الاسم بعدها مرفوعاً بها ارتفاع الفعل بفعله لأنها جارية مجرى الفعل فاقتضت فاعلاً كاقتضائه الفعل . قال جرير :

فهيهات هيهات العقيق ومن به   وهيهات خلٌ بالعقيق نواصله

والعقيق واد بالمدينة يقول فيه جرير ويبدع :

ولـــم أنس يومـــاً بالعقيق تخايلت

ضحـــاه وطابت بالعشي أصائلـــه

رزقنا به الصيـــد العزيز ولـم نكن

كمن نبـــله محرومـــة وحبائلـــه

وقال الزمخشري : « فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله : « فهيهات هيهات العقيق وأهله » فما هذه اللام ؟ قلت : قال الزجاج في تفسيره : البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نوّن فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به » وما اخترناه في الاعراب أسهل وأقـــرب •

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ
بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾

اللغــــة :

(غثاء) : الغثاء : ما يحمله السيل ومثله الجفاء وهو ما تكسرّ وتهشّم أيضاً من المرعى إذا يبس ، ويجمع عــلى أغثية كغراب وأغربة وعلى غثيان كغراب وغربان ، وقال الزجاج هو البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل فخالط زبده ، وقيل ما يلقيه السيل والقذر مما لا ينتفع به ، ولامه واو لأنه من غثا الوادي يغثو غثواً وكــذلك القــدر ، وأما غثيث نفسه تغثى غثياناً أي خبثت فهو قريب من معناه ولكنه من مادة الياء وقال الزمخشري : « شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي وأسود من بلي العيدان والورق » •

الاعراب :

(إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير معتقدهم بأن العالم قديم بالطبع ولم يزل كذلك ولم يحدث باحداث محدث والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً وهذا كفر صريح وضلال بعيد وسيأتي في باب الفوائد مزيد من معتقد الدهريين • وان نافيه وهي مبتدأ وإلا أداة حصر وحياتنا خبر والدنيا صفة وجملة نموت ونحيا حالية أو مفسرة لما ادعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا أي يموت بعضنا وينقرض بعضنا الى انقراض العصر ، والواو حرف عطف وما نافية حجازية ونحن اسمها وبمبعوثين الباء حرف جر زائد ومبعوثين مجرور بالباء لفظاً خبر ما محلاً • (إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين) ان نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ورجل خبر وجملة افترى صفة وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً

مفعول به ، والواو حرف عطف وما نافيــة حجازية ونحن اسمها وله متعلقان بمؤمنين ومؤمنــين محله القريب مجرور بالباء الزائدة ومحله البعيد خبر ما • (قال رب انصرني بما كذبون) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ورب منادى محذوف منه حرف النداء مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر معناه الدعاء والنون للوقاية والفاعل مستتر تقــديره أنت وبما الباء حرف جر وما موصولــة أو مصدرية وكذبوني فعل وفاعــل ومفعول به والجملة صلة ما والجار والمجرور متعلقان بانصرني • (قال عما قليل ليصبحن نادمين) عما قليل : عن حرف جر وما زائدة وقليـــل مجرور بعن والجار والمجرور متعلقان بيصبحن أو بنادمين أو بمحذوف تقديره عما قليل ننصر فحذف لدلالة ما قبله وهو رب انصرني ، واللام موطئة للقسم ويصبحن فعل مضارع ناقص والواو المحذوفة لالتقــاء الساكنين اسمهــا وهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الامثال والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ونادمين خبر يصبحن • (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين) الفاء عاطفة وأخذتهم الصيحة فعل ومفعول به وفاعل وبالحق حال من الصيحة ، فجعلناهم عطف على فأخذتهم والهاء مفعول به أول وغثاء مفعول به ثان والفاء حرف عطف وبعداً مصدر يذكر بدلاً من اللفظ بفعله فهو مفعول مطلق لفعل محذوف واجب الاضمار لأنه بمعنى الدعاء عليهم والاصل بعدوا بعداً وللقوم صفة لبعداً ولا تتعلق به لأنه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل • (ثم أنشأنا من بعــدهم قروناً آخرين) ثم حرف عطف وتراخ وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال وقروناً مفعول به وآخرين صفــة • (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) ما نافية وتسبق فعل مضارع ومن حرف جر

زائد وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل تسبق وأجلها مفعول به وما يستأخرون عطف على ما سبق وذكر الضمير بعد تأنيثه لمراعاة المعنى لأن أمة بمعنى قوم •

الفوائــد :

في شرح النهج لابن أبي حديد : « قال قاضي القضاة : ان أحداً من العقلاء لم يذهب الى نفي الصانع للعالم ولكن قوماً من الورّاقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد اليها وهي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ولا إله للعالم ولا صانع له أصلاً وإنما هو هكذا ما زال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر ، ومن أشهر الذين أخذوا هذه المقالة من العرب ابن الراوندي وقد أخذ هذه المقالة ونصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج » قلت : قد ذكر أبو العلاء المعري ابن الراوندي وتاجه هذا في رسالة الغفران ومما قاله : « وأما ابن الراوندي فلم يكن الى المصلحة بمهدي ، وأما تاجه فلا يصلح أن يكون نعلاً وهل تاجه إلا كما قالت الكاهنة أف وتف وجورب وخف » • وفي هؤلاء يقول أبو العلاء في لزومياته :

ضــل الذي قال البلاد قديمة ... بالطبع كانت والأنام كنبتهــا
وأمامنا يــوم تقوم هجــوده ... من بعــد ابلاء العظام ورفتها

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا

مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا
لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

اللغــة :

(تترى) سترد في باب الاعراب .

(ربوة) : الربوة والرباوة : الارض المرتفعة وفي رائهما الحركات الثلاث وقد اختلف المفسرون في المراد بها فقيل بيت المقدس وقيل دمشق وغوطتها ، وعن الحسن فلسطين والرملة .

(معين) :اسم مفعول من عان يعين كباع يبيع فهو معين كمبيع فالميم زائدة وأصله معيون كمبيوع وقد دخله الاعلال ، والمعين : الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته ، فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ، ووجه من جعله فعيلاً أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة ، وقال الراغب : هو من معن الماء جرى وسمي مجرى الماء معيان ، وأمعن الفرس تباعد في عدوه ، وأمعن بحقي ذهب به ، وفلان معن في حاجته أي سريع .

الاعراب :

(ثم أرسلنا رسلنا تترى) ثم حرف عطف وتراخ وأرسلنا فعل وفاعل ورسلنا مفعول به وتترى : التاء مبدلة من الواو وأصله وترى وهو مصدر كشبعى ودعوى فألفه للتأنيث وهو منصوب على الحالية أي متتابعين فهو مصدر واقع موقع الحال ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف تقديره ارسالا تترى اي متتابعا وفي ألفها ثلاثة أقوال :

١ ــ هي للإلحاق بجعفر كالألف في أرطى ولذلك تؤنث في قول من صرفها •

٢ ــ هي بدل من التنوين •

٣ ــ هي للتأنيث مثل سكرى ولذلك لا تنون على قول من منع الصرف •

(كلما جاء أمة رسولها كذبوه) كلما ظرف متضمن معنى الشرط وجملة جاء أمة إما مضاف اليها وإما لا محل لها وقد تقدم تفصيل البحث عن كلما ، وأمة مفعول مقدم ورسولها فاعل مؤخر وجملة كذبوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم • (فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث) الفاء عاطفة وأتبعنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به أول وبعضاً مفعول به ثان وجعلناهم عطف على أتبعنا والهاء مفعول به أول وأحاديث مفعول به ثان ، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكون جمعاً للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي مما يتحدث به الناس تزجية للفراغ واجتلاباً للسلوى ودفعاً للملالة وتعجباً وتلهياً ،

وفي القاموس « يقال صاروا أحاديث أي انقرضوا » • (فبعداً لقوم لا يؤمنون) الفاء استئنافية وبعداً مصدر لفعل محذوف أي بعدوا بعداً وهذا دعاء عليهم ولقوم تقدم القول في هذه اللام قريباً فجدد به عهداً وجملة لا يؤمنون صفة لقوم • (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين) ثم حرف عطف وتراخ وأرسلنا فعل وفاعل وموسى مفعول به وأخاه عطف عليه وهارون بدل أو عطف بيان وبآياتنا حال أي حال كونهما ملتبسين بآياتنا فالباء للملابسة وسلطان مبين عطف على آياتنا وهي الآيات التي جاء بها وإنما عطف سلطان على آياتنا لما تميزت به تلك الآيات المرهصة من الفضل حتى كأنها ليست منها والا فإن الشيء لا يعطف على نفسه ومن تلك الحجج القاطعة البينة اليد والعصا • (الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين) الى فرعون متعلقان بأرسلنا وملئه عطف على فرعون فاستكبروا عطف على أرسلنا وكانوا قوماً عالين كان واسمها وخبرها ومعنى عالين متكبرين أو متطاولين على الناس قاهرين لهم بالبغي والظلم ، وقد أشار سبحانه الى ذلك في آية أخرى فقال : « وإن فرعون علا في الارض » • (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) الفاء عاطفة وقالوا فعل وفاعل والضمير يعود على فرعون وملئه والهمزة للاستفهام الانكاري ونؤمن فعل مضارع ولبشرين متعلقان بنؤمن ، والبشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ، ومثلنا صفة وهي كغير في انه يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى : « إنكم إذن مثلهم » وقال : « ومن الارض مثلهن » ويقال أيضاً هما مثلاه وهم أمثاله • وقومهما الواو للحال وقومهما مبتدأ ولنا متعلقان بعابدون وعابدون خبر قومهما • (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) الفاء عاطفة وكذبوهما فعل وفاعل ومفعول به فكانوا عطف على كذبوهما وكان واسمها ومن المهلكين

خبرها • (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون) الواو استئنافية وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ولعل واسمها والضمير يعود الى قوم موسى لأن فرعون وقومه كانوا قد بادوا غرقاً • (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل وابن مريم مفعول به أول وأمه عطف على ابن مريم وآية مفعول به ثان ولم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة وهي الولادة من غير أب ولو قال آيتين لساغ لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله ألقي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخرى فكان آية من غير وجه • (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) وآويناهما عطف على جعلنا أي أسكناهما ، والى ربوة متعلقان بآويناهما وقد تقدم القول فيها وذات صفة لربوة وقرار مضاف اليه ومعنى القرار الاستقرار أي جعلناها صالحة للاستقرار فيها بما فيها من مغلاّت وطاقات وثمار وماء ، ومعين عطف على قرار •

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
(٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ
حَتَّى حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥)
نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)

الاعراب :

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) يا أيها الرسل تقدم اعرابها والنداء لجميع الانبياء بحسب تفاوت الأزمنة المترامية بينهم ، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن الطيبات متعلقان بكلوا و المراد بالطيبات ما حل وطاب . (واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) واعملوا عطف على كلوا وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وجملة إني تعليل للأمر وان واسمها وبما متعلقان بعليم وجملة تعملون صلة وعليم خبر إن . (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتنبيه على انتظام أمر هذه الأمة وكمال سدادها . وان واسمها وأمتكم خبرها وأمة حال لازمة وواحدة صفة وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ وربكم خبر ، فاتقون الفاء الفصيحة واتقوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به . (فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) الفاء استئنافية وتقطعوا فعل ماض والواو فاعل ، وأمرهم تقدم اعرابها في الانبياء وأنها إما نصب على اسقاط الخافض أي تفرقوا في أمرهم أو أنها مفعول به ، وعدّى تقطعوا اليه لأنه بمعنى قطعوا ، وبينهم ظرف متعلق بتقطعوا وزبراً حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين ، والزبر جمع زبرة بمعنى القطعة أو جمع زبور بمعنى فريق ولها جمع آخر تقدم في الكهف وهو زبر بفتح الباء ، وكل مبتدأ وحزب مضاف اليه وبما متعلقان بفرحون ولديهم ظرف متعلق بمحذوف صلة وفرحون خبر كل حزب . (فذرهم في غمرتهم حتى حين) الفاء الفصيحة وذرهم فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والضمير

لكفار مكة وفي غمرتهم حال أي متخبطين في غمرتهم أو مفعول ثان لذر أي اتركهم متخبطين في غمرتهم ، وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بذرهم • (أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريعي ويحسبون فعل مضارع وفاعل وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبون وأن وما اسمها وكان من حقها أن تكتب مفصولة ولكنها كتبت موصولة اتباعاً لرسم المصحف وجملة نمدهم صلة وبه متعلقان بنمدهم ومن مال وبنين حال من الموصول • (نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) الجملة خبر أن ، نسارع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنسارع وفي الخيرات حال ، بل حرف اضراب انتقالي عن الحسبان ولا نافية ويشعرون فعل وفاعل معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي لا تفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور يتيح لهم التأمل فيعرفون أن ذلك الإمداد ما هو إلا استدراج لهم واستجرار الى زيادة الإثم •

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ
مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾

الاعراب :

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) الجملة ابتدائية مستأنفة مسوقة لـذكر الأبرار الـذين يشفقون من خشية ربهـم ، وان واسمها وهـم مبتدأ ومن خشية ربهـم متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هـم والمصـدر وهو خشية مضـاف لمفعولـه أي خائفون من عذابه وجملة هم من خشية ربهم مشفقون صلة الذين • وفي الاشفاق معنى يتضمن زيادة عـلى معنى الخشية ، هو معنى الرقـة والضعف • (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) عطف على الجملة السابقة وإعرابها مماثل لها وجملة يؤمنون خبرهم • (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون) عطف أيضاً على إن الذين وجملة يؤتون صلة الذين وما مفعول يؤتون وجملة آتوا صلة وقلوبهم الواو حالية وقلوبهم مبتدأ ووجلة خبره وأنهم أن وما بعدها نصب بنزع الخافض ويكون تعليـلاً لقوله وجلة والتقدير وجلة من أنهـم أي خائفة من رجوعهم الى ربهم وأن واسمها والى ربهم متعلقان براجعون وراجعون خبر أنهم • (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) الجملة خبر إن الذين هم من خشية ربهـم وما عطف عليه ، فاسم إن أربعـة موصولات وخبرها جملة أولئك ، وأولئك مبتدأ وجملة يسارعون خبر المبتدأ وفي الخيرات متعلقان بيسارعون والواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقتها بمثابة تأكيد لها وهم مبتدأ ولها متعلقان بسابقون وسابقون خبر هم والضمير في لها يعود على الخيرات لتقدمها عليه في اللفظ وهو الظاهر من سياق الكـلام وقيل عـلى الجنة وليس ببعيـد ، ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس لها ويقال سبق له واليه ويجوز أن تكون اللام للتعليـل أي سابقون لأجلهـا • (ولا نكلف نفساً إلا

وسعها) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على أن التكليف غير خارج عن حدود الطاقات والامكانيات ، ولا نافية ونكلف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ونفساً مفعول نكلف الأول وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان • (ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) الواو عاطفة ولدينا ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وكتاب مبتدأ مؤخر وجملة ينطق صفة وبالحق حال أي ملتبساً بالحق وهم الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر • (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل حرف اضراب للانتقال الى أحوال الكفار المحكية وقلوبهم مبتدأ وفي غمرة خبر ومن هذا صفة لغمرة أي كائنة من هذا الذي وصف به المؤمنون • (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) الواو عاطفة ولهم خبر مقدم وأعمال مبتدأ مؤخر ومن دون ذلك صفة لأعمال وجملة هم صفة ثانية لأعمال وهم مبتدأ ولها جار ومجرور متعلقان بعاملون ، وعاملون خبر هم أي مستمرون عليها ومعنى من دون ذلك أي متجاوزة متخطية لما وصف به المؤمنون •

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾

اللغـــة :

(مترفيهم) : أغنياءهم ورؤساءهم •

(يجأرون) : يضجون وفي القاموس : جأر كمنع جأراً وجؤاراً رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث ، والبقرة والثور صاحا ، والنبات طال ، والارض طال نبتها ، والجؤار من النبت الغض والكثير والرجل الضخم » وقال في اللسان والاساس : الجئؤار الصراخ باستغاثة •

(تنكصون) : في المختار ما يدل عـلى انه من بابي جلس ودخل والمصدر نكوص •

(سامراً) : السامر مأخوذ من السمر وهو سهر الليـــل وقال الراغب : السامر الليل المظلم وهو اسم جمع كحـاج وحاضـر وراكب وغائب كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكـر القرآن وتسميته سحراً وشعراً ، وسبّ رسول الله صـلى الله عليه وسلم •

(تهجرون) : هو بفتح التاء من الهجران وهو الترك أو من هجر هجراً هذى وتكلم بغـير معقول لمرض أو نحوه ، وقرىء بضمها من أهجر إهجاراً : أفحش في كلامه •

الاعراب :

(حتى إذا أخـذنا مترفيهم بالعـذاب إذا هم يجأرون) حتى هنا ابتدائية يبتدأ بها الكلام وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه

منصوب بجوابه وهو يجأرون وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف اليها ونا فاعل ومترفيهم مفعول به وبالعذاب متعلقان بأخذنا وإذا الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط والجملة بعدها جواب إذا الأولى لا محل لها كأنه قيل فهم يجأرون وقيل حتى حرف غاية وجر • (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) لا ناهية وتجأروا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل واليوم متعلق بتجأروا وإنكم تعليل للنهي وإن واسمها ومنا متعلقان بتنصرون ولا نافية وجملة تنصرون خبر إنكم والواو نائب فاعل • (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) قد حرف تحقيق وكانت آياتي كان واسمها وجملة تتلى خبرها وعليكم متعلقان بتتلى ، فكنتم الفاء عاطفة وكان واسمها وعلى أعقابكم حال من فاعل تنكصون وجملة تنكصون خبر كنتم • (مستكبرين به سامراً تهجرون) مستكبرين حال ثانية من فاعل تنكصون وبه متعلقان بمستكبرين أي بسببه والضمير في به للبيت العتيق والحرم وقيل عائد الى القرآن ، وسامراً حال ثالثة وجملة تهجرون حال رابعة فهي أحوال متداخلة أي كل واحدة مما قبلها • (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أسباب ركوبهم متن الضلالة ، وسيأتي أنها خمسة سنشير اليها في مواطنها ، والهمزة للاستفهام الانكاري التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويدبروا فعل مضارع مجزوم بلم والقول مفعول به والفاء عاطفة على محذوف دخلت عليه الهمزة أي فعلوا ما فعلوا مما سبق ذكره فلم يدبروا القول ، وأم عاطفة بمعنى بل الانتقالية أي بل أجاءهم بل ألم يعرفوا بل أيقولون ، وقوله أفلم يدبروا القول هو السبب الأول لإقدامهم على الضلالة واجترائهم على ارتكابها أي أنهم صدفوا عن التأمل في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتها القرآن المعجز ،

وجاءهم فعل ومفعول به ثان وما موصول فاعل وجملة لم يأت آباءهم الأولين صلة وهـذا هو السبب الثاني وهو اعتقادهـم أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أمر غريب لأنهـا لم تسمع عن الأمـم السالفة • (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) عطف على ما تقدم كما ذكرنا وهذا هو السبب الثالث في إقدامهم على ركوب الغي وهو عدم علمهم بأمانة مدعي الرسالة وصدقه قبل أن يدعيها وليس الأمر بهذه المثابة بل أنهم سبروا غوره وعلموا حقيقته واكتنهوا صدقه ولقبوه بالأمين فكيف كذبوه بعد أن أجمعوا على جدارته باللقب الذي أطلقوه عليه • والفاء عاطفـة وهم مبتـدأ وله متعلقان بمنكـرون ومنكرون خبر هـم • (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) عطف على ما تقدم أيضاً وهذا هو السبب الرابع وهو اعتقادهم فيه الجنون وهذا الاعتقاد مناقض لما كانوا يعتقـدون فيه من كمال الرجاحة وتمام الحصافة • وبه خبر مقدم وجنة أي جنون مبتدأ مؤخر بل حرف عطف واضراب انتقالي ، وجاءهم فعـل ومفعول به وفاعـل مستتر وبالحق متعلقان بجاءهم أو بمحذوف حال أي ملتبساً بالحق والواو حالية وأكثرهم مبتدأ وللحق متعلقان بكارهون وكارهون خبر أكثرهم •

الفوائـد :

معنى وأكثرهم :

اعترض الزمخشري على نفسه فوجه اليها سؤالاً وأجاب عليه وفيما يلي نص السؤال والجواب قال : « فإن قلت : قوله « وأكثرهم » فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق ، قلت : كان فيهم من يترك الايمان

يه أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب .

فإن قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح اسلامه قلت : يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلامه » .

وهذا جميل من الزمخشري ولكن أولى من ذلك أن يكون الضمير في قوله « وأكثرهم » عائداً على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله : « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » وكقوله : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ويدل على ذلك قوله تعالى « بل جاءهم بالحق » والنبي صلى الله عليه وسلم جاء الى الناس كلهم وبعث الى الكافة ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النفي ، وأما قول الزمخشري إن من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليداً لآبائه ليس كارهاً للحق فمردود فإن من أحب شيئاً كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه الى الايمان ضرورة ، ثم انجر الكلام الى استبعاد ايمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتهر اسلامه كما اشتهر اسلام العباس وحمزة لأنه أشهر ، وللقائل باسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الاسلام يشتهر بها كما اشتهر لغيره من عمومته .

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ
بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ
خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ
﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾

اللغـــة :

(خرجاً) : أجراً وخراجاً ويغلب في الخرج أن يكون مال العنق وفي الخراج مال العقـار ونقيض الدخل وقيـل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه ، والوجه أن الخرج أخص من الخراج ، ومعنى الآية : أم تسألهم عن هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير .

(ناكبون) عادلون وزائفون ومائلون وكل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب .

(لجوا) : اللجاج وهو التمادي في العناد ، وفي المصباح : لجّ في الأمر لججاً من باب تعب ولجاجاً ولجاجة فهو لجوج ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه ومن باب ضرب لغة .

(يعمهون) : في المصباح : « عمه في طغيانه عمهاً من باب تعب إذا تردّد متحيراً ، وتعامه مأخوذ من قولهم أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة فهو عمه وأعمه .

(استكانوا) : يقال : استكان أي انتقل من كون الى كون كاستحال إذا انتقل من حال الى حال وأصله استكون نقلت حركة الواو الى ما قبلها ثم قلبت ألفاً ، هذا ما قاله علماء اللغة ولكن اعترض بعضهم على هذا التنظير وحجته أن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل ، وأما استحال فثلاثيه حال إذا انتقل من حال الى حال واذا كان الثلاثي يفيد التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذا لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى .

ثم نعود الى تأويله فنقول : المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص الى كون الخضوع والضراعة الى الله تعالى ، ولقائل أن يقول : استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون الى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر الى الخضوع بأولى ، وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين ، فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعاً والجواب أن أصلها كذلك على الاطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها .

ولما دخل أحمد بن فارس اللغوي الوزير بغداد في زمن الامام الناصر جمع له جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلاً للمناظرة فانجر

الكلام الى هذه الآية فقال : الأصل اللغوي هو مشتق من قول العرب : كنت لك إذا خضعت ، وهي لغة هذلية فاستحسن ابن فارس ذلك منه ، وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وانما لم يجعل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم لأن المعنى يأباه وذلك أنها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب ، فلو جعلت للمبالغة أفادت نقص المبالغة لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فانهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلحظة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية ؟

ووزن استفعل على ضربين متعد وغير متعد فالمتعدي قولهم استحقه واستقبحه وغير المتعدي استقدم واستأخر ويكون فعل منه متعدياً وغير متعد فالمتعدي نحو علم واستعلم وفهم واستفهم وغير المتعدي نحو قبح واستقبح وحسن واستحسن ، وله معان أحدها الطلب والاستدعاء كقولك استعطيت أي طلبت العطية واستعتبته أي طلبت اليه العتبى ومنه استفهمت واستخبرت ، والثاني أن يكون للاصابة كقولك استجدته واستكرمته أي وجدته جيداً وكريماً ، وقد يكون بمعنى الانتقال والتحول من حال الى حال نحو قولهم استنوق الجمل إذا صار على خلق الناقة واستتيست الشاة إذا اشبهت التيس ومنه استحجر الطين إذا تحول الى طبع الحجر في الصلابة ، وقد يكون بمعنى تفعل لتكلف الشيء وتعاطيه نحو استعظم بمعنى تعظم واستكبر بمعنى تكبر كقولهم تشجّع وتجلّد وربما عاقب فعل قالوا : قرّ في المكان واستقرّ وعلا

قرنه واستعلاه،قال الله تعالى : «وإذا رأوا آية يستسخرون» والغالب على هـذا البناء الطلب والإصابة وما عـدا ذينك فانـه يحفظ حفظـاً ولا يقاس عليه .

الاعراب :

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) الواو استئنافية ولو شرطية واتبع الحق فعل وفاعل وأهواءهم مفعول به واللام واقعة في جواب الشرط وفسدت السموات والارض فعـل وفاعل والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن عطف على السموات والارض وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من . (بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) بل حرف اضراب انتقالي وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به وبذكرهم متعلقـان بآتيناهـم ، والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم والتنويه بذكرهم . والفاء عاطفة وهم مبتدأ وعن ذكرهم متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر هم . (أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين) عطف انتقالي على « أم به جنة » وهـو السبب الخامس من أسباب ركوبهـم متن الضلالة العمياء وتسألهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به أول وخرجاً مفعول به ثان والفـاء تعليلية أو فصيحـة وردت مورد التعليل للسؤال المستفاد من الانكار ، وخراج مبتدأ وربك مضاف اليه وخير خبر ، وهو الواو حرف عطف وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر . (وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم) الواو حرف عطف وان واسمها واللام المزحلقة وتدعوهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والى صراط متعلقان بتدعوهـم ومستقيم صفة . (وإن الذين لا يؤمنون

بالآخرة عن الصراط لناكبون) الواو عاطفة وان واسمها وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمنون وعن الصراط متعلقان بناكبون واللام المزحلقة وناكبون خبر إن • (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ للجّوا في طغيانهم يعمهون) الواو استئنافية مسوقة لبيان اصابتهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بالقحط حتى روي أنهم أكلوا العلهز وهو كما في الصحاح طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة وسيأتي تفصيل هذه الحادثة في باب الفوائد • ولو شرطية ورحمناهم فعل وفاعل ومفعول به وكشفنا عطف على رحمناهم وما مفعول به وبهم متعلقان بمحذوف صلة ما ومن ضر حال ، للجّوا اللام رابطة لجواب لو وجملة لجوا لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم وفي طغيانهم متعلقان بيعمهون وجملة يعمهون حالية • (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به وبالعذاب متعلقان بأخذناهم ، فما استكانوا عطف على أخذناهم وما نافية واستكانوا فعل وفاعل ولربهم متعلقان باستكانوا ، والواو حرف عطف وما نافية ويتضرعون فعل مضارع وفاعل وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي في باب البلاغة •

البلاغة :

عطف المضارع على الماضي لإفادة الماضي وجود الفعل وتحققه ، وهو بالاستكانة أحق بخلاف التضرع فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال •

الفوائـد :

قوله تعـالى : « ولو رحمناهم » الآية والآية التي تليها ، هاتان الآيتان مدنيتان فإن أصابتهم بالقحط إنما كانت بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من بينهم ، روى التاريخ أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز ــ وقد قدمنا تفسيره ــ جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمـة للعالمين ؟ فقـال بلى ، فقـال : قتلت الآباء بالسيف والأبنـاء بالجوع فنزلت الآية .

حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟
مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

اللغــة :

(مبلسون) : في المصباح : « البلاس مثل سلام هو المِسْحُ ، وهو فارسي معرب والجمع بلس بضمتين مثل عناق عنق ، وأبلس الرجل ابلاساً سكت ، وأبلس أيس ، وفي التنزيل فإذا هم مبلسون » .

(ذرأكم) : خلقكم وبثكم بالتناسل .

الاعراب :

(حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) حتى حرف تبتدأ به الجمل وقد تقدم نظيره قريباً وقيل هي غاية وجر ، إذا شرطية ظرفية متعلقة بمبلسون وجملة فتحنا في محل جر باضافة الظرف اليها وعليهم متعلقان بفتحنا وباباً مفعول به وذا عذاب صفة لباباً وإذا الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط والجملة بعدها جواب اذا الأولى كأنه قيل فهم فيه مبلسون ، وهم مبتدأ وفيه متعلقان بمبلسون ، ومبلسون خبر هم . (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقريع الكافرين وتذكير المؤمنين فهو خطاب عام ، وهو مبتدأ والذي خبر وجملة أنشأ صلة ولكم متعلقان بأنشأ والسمع مفعول به والأبصار والأفئدة عطف عليه وقليلاً منصوب على أنه مفعول مطلق صفة لمحذوف هو المفعول المطلق في الحقيقة تقديره شكراً قليلاً وما زائدة للتوكيد بمعنى حقاً وإنما خص هذه الأعضاء لأنه يناط بها من المنافع مالا يناط بغيرها ، هذا من جهة ومن جهة ثانية من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها ، وسيأتي مزيد بسط في هذا الصدد في باب البلاغة . (وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه

تحشرون) عطف على ما تقدم واعرابه ظاهر • (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) وهو الذي عطف على ما تقدم وله خبر مقدم واختلاف الليل والنهار مبتدأ مؤخر والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف مقدر ولا نافية وتعقلون فعل مضارع وفاعل • (بل قالوا مثل ما قال الأولون) بل حرف اضراب انتقالي وقالوا فعل وفاعل ومثل صفة لمصدر محذوف أي قولاً مثل قول الأولين وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف لمثل والأولون فاعل • (قالوا : أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) الجملة بدل من الجملة قبلها أي مستأنفة،والهمزة للاستفهام الاستبعادي واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر باضافة اذا اليها وكنا عطف على متنا وكان واسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام الاستبعادي أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبرها•(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) اللام جواب للقسم المحذوف ووعد فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل ونحن تأكيد للضمير وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل وسوغ العطف الفصل بالمنفصل ومن قبل متعلقان بوعدنا أو بمحذوف صفة لقوله آباؤنا أي الكائنون من قبل والمعنى على الجميع لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد صدقاً وانما رأيناه أساطير الأولين • (إنْ هذا إلا أساطير الأولين) إن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وأساطير الأولين خبر هذا •

البلاغة :

١ ــ وحد السمع في قوله تعالى « وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة » لوحدة المسموع دون الابصار والأفئدة أو لأنه

مصدر في الأصل والمصادر لا تجمع فلمح الى الاصل وقد تقدمت الاشارة الى ذلك في البقرة فجدد به عهداً ٠

٢ ـ في قوله « بل قالوا مثل ما قال الأولون » الفصل أي قطع احدى الجملتين عن الأخرى للاتحاد فقد فصل : قالوا أئذا متنا وكنا ترابأ الخ عما قبله لقصد البدل لكونه أوفى بالمقصود من الأول لأن ما قال الأولون أقوال كثيرة ولا يدرى أي قول يراد من تلك الأقوال والأحسن أن يقال إن أريد بقوله مثل ما قال الأولون ما نقل عنهم من قولهم أئذا متنا الخ وهو الظاهر كان بدل كل من كل ٠

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ج
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ج قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ج
قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا
ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ج إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ج سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ
لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

الاعراب :

(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية ، ولمن خبر مقدم ومن استفهامية والأرض مبتدأ مؤخر ومن عطف على الارض ومن موصولية وعبر عنهم بمن تغليباً للعقلاء كما تقرر وفيها متعلقان بمحذوف صلة من وان شرطية وكنتم تعلمون كان واسمها وجملة تعلمون خبرها وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف أي فأخبروني بخالقهما ، وفي هذا تلويح بغباوتهم • (سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الجملة مستأنفة مسوقة للاخبار من الله تعالى عما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه ولله متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، والجملة مقول القول ، قل فعل أمر والمراد بالأمر التوبيخ والتأنيب والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتذكرون فعل مضارع بحذف إحدى التاءين والأصل تتذكرون • (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) من اسم استفهام مبتدأ ورب السموات السبع خبره

ورب العرش العظيم عطف عليه • (سيقولون لله قل أفلا تتقون) لله خبر لمبتدأ محذوف أي لا بد لهم أن يقولوا ذلك وأتى باللام نظراً الى معنى السؤال ، فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد ويقال لزيد • (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه) من اسم استفهام مبتدأ وبيده خبر مقدم وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر والجملة خبر من والتاء والواو في ملكوت زائدتان للمبالغة كزيادتهما في الرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة ، والملكوت الملك العظيم والعز والسلطان، والملكوت السماوي هو محل القديسين في السماء ، والواو عاطفة أو حالية وهو مبتدأ وجملة يجير خبر والواو عاطفة وجملة لايجار عطف على يجير والمعنى يغيث من يشاء ويحرسه ولا يغاث أحد منه وعدي بعلى لتضمنه معنى النصر • (إن كنتم تعلمون) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف كما تقدم أي فأخبروني • (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) لله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف وفيه نظر الى أن المعنى مَن له ما ذكر والتقدير في الأولى قل من له السموات السبع وفي الثاني قل من له ملكوت كل شيء فلام الجر مقدرة في السؤال فظهرت في الجواب نظراً للمعنى وقد قرىء باسقاطها مع رفع الجلالة جواباً على اللفظ لقوله مَن لأن المسئول به مرفوع المحل وهو مَن فجاء جوابه مرفوعاً مطابقاً له في اللفظ • فأنى الفاء الفصيحة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف وهي في محل نصب على الحال وتسحرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) بل حرف اضراب وعطف وأتيناهم فعل وفاعل ومفعول به وبالحق حال والواو حالية وان واسمها واللام المزحلقةوكاذبون خبر إن .

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) ما نافية واتخذ الله فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وولد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول به والواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه اسم كان • (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) إذن حرف جواب وجزاء مهمل والى هذا ذهب الفراء وقد تقدم القول فيه في الاسراء واليه جنح الزمخشري قال : « فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام هو جواب وجزاء فكيف وقع قوله : إذن لذهب جواباً وجزاء ولم يتقدم شرط ولا سؤال سائل ؟ قلت : الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة فحذف لدلالة : وما كان معه من إله » واختار غير الفراء والزمخشري أن تكون إذن بمعنى لو الامتناعية وعليه جرى البيضاوي قال : « أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الكائنات الى واجب واحد » واللام واقعة في جواب الشرط على كلا القولين ، وذهب كل إله فعل وفاعل والجملة لامحل لها وبما خلق متعلقان بذهب وجملة خلق صلة ولعلا بعضهم على بعض عطف على ما تقدم • (سبحان الله عما يصفون) سبحان الله نصب على المصدر وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن وصفهم • (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) عالم الغيب بالجر على البدلية من الجلالة أو صفة له وقرىء بالرفع على القطع فهو خبر لمبتدأ محذوف ، فتعالى الفاء عاطفة كأنه قال علم الغيب فتعالى ،

وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة • (قل رب إما تريني ما يوعدون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإما أدغمت إن الشرطية بما الزائدة وتريني فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم فعل الشرط والنون للوقاية والياء مفعول به وما مفعول به ثان فهي بصرية تعدت لمفعولين بواسطة الهمزة لأنه من أرى الرباعي وجملة يوعدون صلة ما والعائد محذوف أي يوعدون به من العذاب (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) هذا جواب الشرط والفاء رابطة وأعيد لفظ رب منادى مبالغة في التضرع والابتهال ولا ناهية وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء مفعول به أول وفي القوم مفعول به ثان والظالمين صفة • (وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) الواو عاطفة على ما تقدم وان واسمها وعلى أن نريك متعلقان بقادرون وأن حرف مصدري ونصب ونرى مضارع منصوب بأن والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به أول وما مفعول به ثان وقد تقدم القول في أرى البصرية ، واللام المزحلقة وهي لام الابتداء زحلقت الى الخبر وقادرون خبر إنا • (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) كلام مستأنف مسوق لحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصفح عن مساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان • وادفع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبالتي جارومجرور متعلقان بادفع والتي نعت لمحذوف أي الخصلة ، وهي أحسن مبتدأ وخبر والجملة الاسمية صلة التي ، والسيئة مفعول به وجملة نحن أعلم حالية ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يصفون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بوصفهم لك وسوء ذكرهم •

البلاغـة :

في قوله تعالى « ادفع بالتي هي أحسن السيئة » عدول عن مقتضى السياق لسرّ بليغ فالظاهر أن يقول ادفع بالحسنة السيئة ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل ، والمعنى : ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة ، ولمعترض أن يقول كيف تسوغ هذه المفاضلة التي هي اشتراك في أمر والتميز بغيره وليس ثمة أي اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فما وجه هذه المفاضلة اذن ؟ والجـواب : ان الحسنة من باب الحسنات أزيـد من السيئة من باب السيئات فتجيء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين كقولك العسل أحلى من الخل يعني أنه في الاصناف الحلوة أميز من الخـل في الاصناف الحامضة وليس لأن بينهمـا اشتراكاً خاصاً ، ومن هـذا الوادي ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال : نشأت أنا والاعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية : أشعب بلغ الغاية على السفلة والاعمش بلغ الغاية على العلية .

هـذا ويجوز أن يراد وجـه آخر وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فانها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقنع في دفعها بذلك وقد يزاد عـلى الصفح الاكرام وقد تبلـغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الانواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفـع هي الأخيرة لاشتمالها عـلى عدد من الحسنات ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة وعندئذ تجري المفاضلة على حقيقتها من غير تأويل .

وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ
أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ
وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

اللغـــة :

(همزات) : جمع همزة وهي النخسة والدفعة بيد وغـيرها وفي الاساس واللسان : « همز رأسه عصـره وهمز الجوزة بكفه ، ومن المجـاز : همز الرجل في قفـاه : غمز بعينه ورجـل همزة وهمّاز والشيطان يهمز الانسان : يهمس في قلبه وسواساً ويقال : أعوذ بالله من همسه وهمزه ولمزه و « أعوذ بك من همزات الشياطـين » وفي المختار : « وهمزات الشيطان : خطراته التي يخطرها بقلب الانسان » قلت : وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض ، شبّه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب عـلى المشي والجمـع للمرّات أو لتنوع الوساوس .

(برزخ) : حاجز يصدهم عن الرجوع الى الدنيا ، والبرزخ هو الحاجز بين المتنافيين ، وقيل الحجاب بين الشيئين أن يصل أحدهما الى الآخر ، وقال الراغب : أصله برزه فعرّب وهو في القيامة الحائل بين الانسان وبين المنازل الرفيعة ، والبرزخ قيل هو الحائل بين الانسان وبين الرجعة التي يتمناها .

(تلفح) اللفح أشد النفح لأنه الإصابة بشدة والنفح الاصابة مطلقاً كما في قوله تعالى : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك » وفي القاموس لفح يلفح من باب فتح فلاناً بالسيف ضربه به ، ولفحت النار لفحاً ولفحاناً أو السموم بحرها فلاناً أصابت وجهه وأحرقته .

(كالحون) : الكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية ، وعن مالك بن دينار : كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مرّ في السوق برأس قد أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته » وفي المختار: «الكلوح تكشّر في عبوس وبابه خضع» قلت : ومنه كلوح الأسد أي تكشيره عن أنيابه ودهر كالح وبرد كالح أي شديد .

الاعراب :

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ولك أن تعطفها على ما تقدم ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأعوذ فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا ، وبك

متعلقان بأعوذ وكذلك قوله من همزات الشياطين • (وأعوذ بك رب أن يحضرون) عطف على ما تقدم وأعيد كل من العامل والنداء مبالغة وزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة ، وأن حرف مصدري ونصب ويحضرون منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والنون للوقاية والواو فاعل وياء المتكلم المحذوفة في محل نصب مفعول به • (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) يجوز أن تكون غاية ليصفون متعلقة بها أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت ، ويجوز أن تكون ابتدائية ، واذا ظرف مستقبل متعلق بقال وجملة جاء مضاف اليها الظرف وأحدهم مفعول به مقدم والموت فاعل مؤخر وجملة قال لا محل لها ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأرجعون فعل أمر مبني على حذف النون وواو الجماعة فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به وإنما جمع والمخاطب واحد وهو الله تعالى للتعظيم وقال أبو البقاء : « فيه ثلاثة أوجه أحدها انه جمع على التعظيم كما قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر » وكقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا » والثاني أنه أراد يا ملائكة ربي أرجعون والثالث أنه دل بلفظ الجمع على تكرير القول فكأنه قال ارجعني ارجعني » وما ذكرناه أولى ولعل واسمها وجمل اعمل خبرها وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وفيما صفة لصالحاً أو متعلقان باعمل وجملة تركت صلة أي ضيعت من عمري من دون جدوى أو فائدة • (كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) كلا حرف ردع وزجر وسيأتي القول فيها مفصلاً أي لن تكون له رجعة وإن واسمها وكلمة خبرها وسيأتي بحث مفيد عن الكلمة في باب الفوائد وهو مبتدأ وقائلها خبر والجملة الاسمية صفة لكلمة والواو إما عاطفة وإما حالية ومن ورائهم خبر مقدم وبرزخ مبتدأ والى يوم صفة

لبرزخ وجملة يبعثون مضاف اليها الظرف ، وليس المراد انهم يرجعون يوم البعث ولكنه اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا فليست الغاية داخلة في المغيا وانما المراد أنه غيا رجوعهم بالمحال فهو يشبه قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » .

(فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل متعلق بما في الجواب من معنى النفي أي انتفى ذلك ، وجملة نفخ مضاف اليها الظرف وفي الصور متعلقان بنفخ والفاء رابطة لجواب إذ ولا نافية للجنس وأنساب اسمها مبني على الفتح وبينهم ظرف متعلق بمحذوف خبرها ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف صفة لأنساب أو بالمحذوف الذي تعلق به الخبر والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديرها يوم نفخ الصور ، وسيأتي معنى نفي الانساب في باب البلاغة ، ولا يتساءلون عطف على ما سبق ويتساءلون فعل مضارع وفاعل أي لا يسأل بعضهم بعضاً عنها كما سيأتي . (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) الفاء للتفريع والجملة معطوفة أو مستأنفة ومن شرطية مبتدأ وثقلت فعل الشرط وموازينه فاعل فأولئك الفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والمفلحون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك . (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) الجملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها وفي جهنم متعلقان بخالدون وخالدون خبر لمبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر لأولئك وارتأى الزمخشري أن يكون بدلاً من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن صلة الموصول لا محل لها . (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) الجملة مستأنفة أو خبر ثان أو حال ووجوههم مفعول به

مقدم والنار فاعل مؤخر والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وفيها متعلقان بكالحون أو بمحذوف حال من هم وكالحون خبر •

البلاغة :

في قوله تعالى « فلا أنساب بينهم » فن التنكيت وقد تقدم بحثه فقد قصد بنفي الأنساب وهي موجودة أمراً آخر لنكتة فيه ، فإن الانساب ثابتة لا يصح نفيها وقد كان العرب يتفاخرون بها في الدنيا ولكنه جنح الى نفيها إما لأنها تلغو في الآخرة إذ يقع التقاطع بينهم فيتفرقون معاقبين أو مثابين ، أو أنه قصد بالنفي صفة للأنساب محذوفة أي يعتد بها حيث تزول بالمرة وتبطل لزوال التراحم والتعاطف من فرط البهر والكلال واستيلاء الدهشة عليهم •

الفوائد :

تطلق الكلمة في اللغة على الكلام ، وهذا الاطلاق اختلف فيه العلماء فذهب السنهوري في شرح الأجرومية وابن هشام في شذور الذهب الى أن الاطلاق حقيقي كائن في أصل اللغة ، قال صاحب القاموس « الكلمة وجمعها كلم وكلمات : اللفظة وما ينطق به الانسان مفرداً كان أو مركباً » وقيل إن الاطلاق المذكور من قبيل الاستعارة وان أجزاء الكلام لمّا ارتبط بعضها ببعض حصلت له بذلك وحدة فشابه بذلك الكلمة فأطلق لفظها عليه ، والآية صريحة في تأكيد هذا الاطلاق ، ونحوها قوله صلى الله عليه وسلم : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكلُّ نعيم لا محالة زائل

وقولهم كلمة الشهادة يريدون : لا إله إلا الله محمد رسول الله •

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا
غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

اللغـــة :

(شقوتنا) : أحد مصادر شقي ، وفي المختار : « الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة شقاوتنا بالكسر وهي لغة وقد شقي بالكسر شقاء وشقاوة أيضاً وأشقاه الله فهو شقي بيّن الشِقوة » وفي القاموس وشرحه « شقي يشقى من باب تعب شَقاً وشقاوة وشِقاوة وشَقوة وشِقوة ضد سعد فهو شقي والجمع أشقياء » .

(اخسئوا) : ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت وفي الصحاح : « خسأت الكلب وخسأ بنفسه يتعـدى ولا يتعدى » وفي المختار : « خسأ الكلب طرده من باب قطع وخسأ هو بنفسه خضع » وللخاء مع السين فاء وعيناً خاصة واحـدة وهي أن الكلمة تدل عـلى المهانة والمذلة وقد تقدم القول في خسأ ، وخسر التاجر في بيعه خسراناً وخسراً وتاجر خاسر وأخسر الميزان وخسّره نقصـه وميزان مخسور وأخسر فلان وأكسد وقع في الخسران والكساد وأخسرت الرجل نقيض

أربحته وقيل لسلم الخاسر لأنه باع مصحفاً ورثه واشترى بثمنه عوداً يضرب به ، والخسة معروفة وهي النذالة ، تقول : خسست يا رجل تخس مثل مسست تمس خسة وخساسة ورجل خسيس وقوم أخسة وما رأيت أخسّ منه والخس ترياق ويقال : أين نبت الخس ، من فصاحة قس ّ وكلاهما من إياد ، ولكن أين الأخامص من الأجياد ، وخسف القمر وخسفت الأرض وانخسفت ساخت بما عليها وخسف الله بهم الارض ومن المجاز سامه خسفاً أي ذلاً وهواناً ورضي بالخسف وبات على الخسف : على الجوع وشربوا على الخسف على غير ثفل وعين خاسفة فقئت حتى غابت حدقتها في الرأس وخسفت عينه وانخسفت وخسف بدنه : هزل ، وفلان بدنه خاسف ولونه كاسف قال يصف صائداً :

أخو قترات قد تبين أنه
إذا لم يصب لحماً من الوحش خاسفُ

وخسفت إبلك وغنمك وأصابتها الخسفة وهي تولية الطرق وإن للمال خسفتين : خسفة في الحر وخسفة في البرد ، وهو مخسول ومخسّل : وقد خَسَله وخسّله . وقال :

ونحن الثريا وجوزاؤها ... ونحن الذراعان والمِرزَمُ
وأنتم كواكب مخسولة ... تُرى في السماء ولا تعلم

وقولهم أخَساً أم زكاً أي أوتر أم شفع ، وتخاسى الصبيان تلاعبوا بذلك ، وقال الممزق :

تخاس يداها بالحصى وترضّه ... بأسمر صرّافٍ إذا جمّ مطرق

وفي هذا القدر ما يكفي .

(سخريا) : بالكسر والضم مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة في قوة الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية والأول مذهب الخليل وسيبويه والمراد بهم الصحابة وقيل أهل الصفّة خاصة وفي المصباح : « سخرت منه سخراً من باب تعب هزئت به والسخري بالكسر لغة فيه والسخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر والسخري بالضم بمعناه وسخرته في العمل بالتثقيل استعملته مجاناً وسخر الله الإبل ذللها وسهلها » .

الاعراب :

(ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) الهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وآياتي اسمها وجملة تتلى خبرها وعليكم متعلقان بتتلى ، فكنتم الفاء عاطفة وكان واسمها وبها متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم . (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) قالوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بالواو والواو فاعل وربنا منادى مضاف وغلبت فعل ماض والتاء للتأنيث وعلينا متعلقان بغلبت وشقوتنا فاعل غلبت ، وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وقوماً خبرها وضالين صفة . (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) ربنا منادى مضاف وكرره للعناية به وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء ومنها متعلقان بأخرج والفاء عاطفة وإن شرطية وعدنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والضمير فاعل والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وان واسمها وظالمون خبرها والجملة في محل جزم جواب الشرط .

(قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) جملة اخسئوا مقول القول وهو فعل آمر والواو فاعل وفيها متعلقان باخسئوا ولا الواو عاطفة ولا ناهية وتكلمون فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء المحذوفة مفعول به • (إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) جملة تعليلية لما قبلها من الزجر ، وإن واسمها وجملة كان خبرها وفريق اسم كان ومن عبادي صفة لفريق وجملة يقولون خبر كان وربنا منادى مضاف وجملة آمنا مقول القول ، فاغفر لنا الفاء عاطفة واغفر فعل أمر معناه الدعاء وارحمنا عطف عليه ، وأنت الواو استئنافية وأنت مبتدأ وخير الراحمين خبر • (فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) الفاء عاطفة واتخذتموهم فعل وفاعل ومفعول به والميم علامة جمع الذكور والواو لاشباع ضمة الميم وسخرياً مفعول به ثان ومن هؤلاء المهاجرين بلال وصهيب وعمار وخباب وحتى حرف غاية وجر وأنسوكم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وذكرى مفعول به ثان وكنتم كان واسمها ومعهم متعلقان بتضحكون وجملة تضحكون خبر كنتم والمعنى لم يعد لكم شغل إلا الهزء بهم والضحك منهم •

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾
قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ
عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ
لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

اللغــــة :

(العادّين) : بتشديد الدال جمع عاد من عدّ الشيء يعدّه بضم العين في المضارع إذا أحصاه وحسبه •

(عبثاً) العبث بفتحتين : اللعب ومالا فائدة فيه وكل ما ليس فيه غرض صحيح يقال عبث يعبث عبثاً إذا خلط عمــله بلعب وأصله من قولهم عبثت الأقط أي خلطته والعبث طعــام مخلوط ومنه العوثباني لتمر وسويق وسمن مختلط •

الاعراب :

(إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) كلام مستأنف مسوق لبيان حسن حالهم أنهم انتفعوا بإذايتهم إياهم • وان واسمها وجملة جزيتهــم خبر إن وجزيتهم فعل ماض وفاعــل ومفعول به أول واليوم ظرف لجزيتهم وبما متعلقان بجزيتهم والباء للسببية أي بسبب صبرهم وما مصــدرية وأن وما بعدها في تأويل مصــدر مفعول ثان

لجزيتهم أي جزيتهم فوزهم وأن واسمها وهم ضمير فصل والفائزون خبر ان • (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين) كم استفهامية في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بلبثتم ، وفي الارض متعلقان بلبثتم أو بمحذوف حال وعدد سنين تمييز كم وسنين مضاف اليه والمعنى كم لبثتم عدداً من السنين • (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين) جملة لبثنا مقول القول ويوماً ظرف متعلق بلبثنا وأو حرف عطف وبعض يوم معطوف على يوماً ، فاسأل الفاء الفصيحة واسأل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والعادين مفعول به وقد قالوا هــذا لأنهم ــ وقد غشيهم العذاب وأحاطت بهم أهواله ــ لم يعد بوسعهــم أن يحصوا ذلك أو يذكروا فقالوا إن أردت معرفة الحقيقة فاسأل العادين أما نحن فنحن في معزل عن ذلك • (قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون) قال فعل وفاعله مستتر يعود عــلى الله سبحانه وإن نافية ولبثتم فعــل وفاعل وإلا أداة حصر وقليلاً صفة لظرف محذوف أي زمناً قليــلاً ولو حرف امتناع لامتنــاع وان واسمها وجملة كنتــم خبرها وجملة تعلمون خبر كنتم ومفعول تعلمون محذوف أي مقدار لبثكم ويجوز اعراب قليلاً صفة لمصدر محذوف أي لبثاً قليــلاً • (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكــم الينا لا ترجعون) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وحسبتم فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخهم على تماديهم في الغفلة وصدوفهم عن النظر الصحيح ، وأنما كافة ومكفوفة وهي وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي حسبتم وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به وعبثاً يجوز اعرابه نصباً على أنه مصدر واقع موقع الحال أي عابثين ويجوز اعرابه نصباً أيضاً على المصدرية أو انه مفعول لأجله أي لأجل العبث وأنكم يجوز أن يكون معطوفاً على أنما

خلقناكم فيكون الحسبان منسحباً عليه وأن يكون معطوفاً على عبثاً أي للعبث وأن واسمها ولا نافية وجملة ترجعون خبر ان وهو فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاستعظام الله تعالى ، وتعالى فعل ماض والله فاعله والملك الحق صفتان له وجملة لا إله إلا هو حال وقد تقدم اعرابها كثيراً ورب العرش صفة ثالثة والكريم نعت للعرش • (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويدع فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة ومع الله ظرف متعلق بيدع وإلهاً مفعول به ليدع وآخر صفة ولا نافية للجنس وبرهان اسمها مبني على الفتح وله خبر لا والجملة صفة ثانية لإلهاً وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه وجيء بها للتوكيد ، ويجوز أن تكون جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه فإن كانت صفة فالمقصود بها التهكم بمدعي إله مع الله كقوله « بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » فنفى انزال السلطان به وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزّل ولا غير منزّل ، ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما تقدم عند قوله تعالى « فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت » فارجع اليه إن شئت •

فانما الفاء رابطة لجزاء الشرط لأن الجملة اسمية وإنما كافة ومكفوفة وحسابه مبتدأ وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف خبر حسابه والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من • (إنه لا يفلح الكافرون) الجملة تعليلية لا محل لها وان واسمها وجملة

لا يفلح خبر انه والكافرون فاعل • (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) الواو استئنافية ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة واغفر فعل أمر والمقصود منه الـدعاء وارحم عطف عليه وأنت الواو استئنافية وأنت مبتدأ وخير الراحمين خبر •

البلاغـة :

في خاتمة سورة « المؤمنون » قوله : « إنه لا يفلح الكافرون » وفي فاتحتها « قد أفلح المؤمنون » فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة •

سُورَةُ النُّور

مدنية وآياتها أربع وستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا
تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً
أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

اللغـــة :

(الزانية) : بنية الزّنا والزناء بالمد والقصر ، قال الفرزدق :

أبا خالـــد مَنْ يزْنِ يُعلـم زِناؤه
ومن يشـرب الخرطوم يصبـح مسكَّرا

قال الفراء : المقصور من زنى والممدود من زانى ، يقـال زاناها مزاناةً وزناءً ، وخرجت فلانة تزاني وتباغي وقد زنى بها ، وجمع بين الزّنـاة والزواني وزنّاه تزنية : نسبه الى الزنا وهو ولـد زنية بفتح الزاي وكسرها •

(رأفة) : في المختار : « والرأفة أشد الرحمة وقد رؤف بالضم رآفة ورأف به يرأف مثل قطع يقطع ورئف به من باب طرب كله من كلام العرب فهو رءوف على فعول » •

الاعراب :

(سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيهـا آيات بينات لعلكـم تذكرون) سورة خبر لمبتدأ محذوف أي هذه سورة أو مبتدأ والخبر محذوف أي فيما أوحينا إليك سورة ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت بجملة أنزلناها ، وفرضناها عطف عـلى أنزلناها وأنزلنا عطف أيضاً وفيها متعلقان بأنزلنا وآيات مفعول به وبينات صفة لآيات ، ولعل واسمها وجمـلة تذكرون خبرها وجملة لعلكـم تذكرون حـال • (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات • والزانية والزاني

في رفعهما وجهان : أحدهما مذهب سيبويه أنه مبتـدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ، وثانيهما مذهب الأخفش وغيره بأنه مبتدأ والخبر جملة الأمر ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوفى عند قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فجدد به عهداً وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث . وانما قدم الزانية على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية اليها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع وقد عكس الأمر في آية حـد السرقة فقدم السارق على السارقة لأن الزنا يتولد بشهوة الوقاع وهي في المرأة أقوى وأكثر ، والسرقة انما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة وهي في الرجل أقوى وأكثر .

فاجلدوا الفاء رابطة لأن الألف واللام بمعنى الذي والموصول فيه رائحة من الشرط أي التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه ، واجلدوا فعل أمر وفاعل وكل واحـد مفعول به ومنهما صفة لواحد ومائة جلدة نائب مفعول مطلق لأن المفعول المطلق ينوب عنه عدده أي ضربة ، يقال جلده : ضرب جلده . (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) الواو عاطفة ولا ناهية وتأخذكم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وبهما متعلقان بتأخذكم ورأفة فاعل وفي دين الله متعلقان بتأخذكم أيضاً . (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وهو في محل جزم فعـل الشرط وجملة تؤمنون بالله واليوم الآخر خبر كنتـم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وحكمه ، والمراد بالشرط التهيج وإثارة الحفائظ على الزناة والغضب لله ولدينه . وسيأتي في باب البلاغـة المزيد من القول في هـذه الآية . (وليشهد

عذابهما طائفة من المؤمنين) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويشهد فعل مضارع مجزوم باللام وعذابهما مفعول به مقدم وطائفة فاعل مؤخر ومن المؤمنين صفة لطائفة . وسيأتي القول عن المراد فيها . (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) جملة مستأنفة مسوقه لبيان أن الفاسق الخبيث الذي جعل الزنا ديدنه وهجيراه لا يرغب في نكاح الصوالح ذوات الصون والعفاف وكذلك شأن الفاسقة الخبيثة تأبى إلا الارتطام في مستوبل الأقذار . والزاني مبتدأ وجملة لا ينكح خبر وإلا أداة حصر ، وسيأتي سر القصر في باب البلاغة . وزانية مفعول به وأو حرف عطف ومشركة عطف على زانية . (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) جملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها في الاعراب وزان فاعل حذفت ياؤه لأنه اسم منقوص تحذف ياؤه في حالة التنوين رفعاً وجراً وتثبت نصباً . (وحرم ذلك على المؤمنين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المتشبهين بالفساق والمستهدفين لسوء القالة والطعن وسيأتي القول في سر التحريم في باب الفوائد . (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) الواو استئنافية مسوقة لبيان نوع آخر من حدود الزنا ، والذين مبتدأ سيأتي له ثلاثة أخبار وجملة يرمون صلة الموصول والمحصنات مفعول به ثم لم يأتوا عطف على يرمون وبأربعة متعلقان بيأتوا وشهداء مضاف اليه جر بالفتحة لمنعه من الصرف لمكان ألف التأنيث منه . (فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الموصول المتضمن معنى الشرط واجلدوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وجملة فاجلدوهم خبر أول للذين وثمانين مفعول مطلق وجلدة تمييز ، ولا تقبلوا عطف على فاجلدوهم وهي بمثابة الخبر الثاني للذين ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهادة

وأبداً ظرف متعلق بتقبلوا وأولئك الواو عاطفة وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو خبر ثان والفاسقون خبر أولئك أو خبر هم والجمله بمثابة الخبر الثالث للذين • (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) إلا أداة استثناء والذين مستثنى من الفاسقين واختلف في هذا الاستثناء فقيل هو متصل لأن المستثنى منه في الحقيقة الذين يرمون والتائبون من جملتهم لكنهم مخرجون من الحكم وهذا شأن المتصل ، وقيل هو منقطع لأنه لم يقصد إخراجه من الحكم السابق بل قصد إثبات أمر آخر له وهو أن التائب لا يبقى فاسقاً ولأنه غير داخل في صدر الكلام لأنه غير فاسق وجملة تابوا صلة الموصول ، ومن بعد ذلك متعلقان بتابوا ، وأصلحوا عطف على تابوا ، فإن الفاء تعليلية لما سبق وإن واسمها وغفور خبرها الاول ورحيم خبرها الثاني •

البلاغة :

١ ــ الايجاز بالحذف :

في قوله تعالى « سورة أنزلناها » إيجاز بالحذف وهو كما يراه عبد القاهر الجرجاني باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ، ولكن عبد القاهر لم يصب كبد الحقيقة عندما أردف يقول : « ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره » ووجه عدم إصابته أن الذي ذكره لا يأتي في كل مبتدأ وإنما يحسن في مبتدأ خبره وصف يقتضي المدح أو القدح وتقبل المبالغة فيه وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى ، وفي

المبتدآت ما هو بخلاف ذلك فان قولنا « زيد قائم » لا نجد في وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد عن غيره فان القيام يوصف به كل أحد إذا أريد به ضد القعود ولا يقبل المبالغة ، وليس هو من صفات المدح ولا من صفات الذم ولا هو مما يبلغ به الموصوف الى انه استحق الوصف به دون غيره ، فإن كان القاضي ، رحمه الله ، أراد مبتدأ مخصوصاً فيحتمل ، وإن كان أطلق فالأمر مشكل والسبب فيما ذكر من حذفه غير معلوم .

ثم يعرض عبد القاهر أمثلة من الشعر الجيد لأبيات حذف المبتدأ فيها كقول الشاعر :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي
أيادي لم تُمْنَنْ وإن هي جلّت
فتىً غير محجوب الغنى عن صديقه
ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

والأصل : هو فتى .

٢ ــ النهي والشرط للتهييج :

المقصود من النهي في قوله « ولا تأخذكم » والشرط في قوله « إن كنتم تؤمنون الخ » التهييج وإثارة الغضب وإلهاب الحفاظ على دين الله ، وإن على المؤمنين الحراص على الاتسام بهذه السمة المشرقة أن يتصلبوا في دينهم وأن لا تأخذهم هوادة أو لين في تنفيذ ما أمرهم الله

به لاستيفاء حدوده ، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بنفسه وابنته فقال : « لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

٣ ـ الحصر بإلا :

ظاهر النظم يوحي بأن الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقي ، ولما كان ذلك غير ظاهر الصحة كان لا بد من حمل الاخبار على الأعم الأغلب كما لا يفعل الخير إلا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي .

٤ ـ استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول كما قال النابغة :

وجرح اللسان كجرح اليد

ويسمى الشتم بهذه الفاحشة قذفاً ، والمراد بالمحصنات النساء ، وخصصهن بالذكر لأن قذفهن أشنع والعار فيهن أعظم ، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم بلا خلاف بين علماء هذه الأمة .

الفوائـد :

١ ـ قوله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا » الآية : إنما عدل الخليل وسيبويه الى هذا الذي نقلناه من الاعراب لوجهين : لفظي ومعنوي أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك فالرفع قراءة العامة فلو جعل الأمر خبراً وبنى المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنياً على الأمر فخلص من مخالفة الاختيار ، وقد مثلهما سيبويه في

كتابه بقوله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار » الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله « مثل الجنة » ولا يستقيم أن يكون قوله « فيها أنهار » خبره فتعين تقدير خبره محذوفاً وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة ، ثم لما كان هذا إجمالاً لذكر المثل فصل المجمل بقوله « فيها أنهار » الى آخرها فكذلك ها هنا كأنه قال : وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني ، ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد ، هذا بيان المقتضى عند سيبويه لاختيار الحذف من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملاً حيث قال : الزانية والزاني ، وأراد : وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني، فلما تشوّف السامع الى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمهما مفصلاً فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة .

٢ ـ قوله تعالى « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفه غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء ، وعن ابن عباس في تفسيرها هي أربعة الى أربعين رجلاً من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعداً وعن عكرمة رجلان فصاعداً وعن مجاهد أقلها رجل فصاعداً ، وقيل رجلان وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الحد والتفصيل في كتب الفقه .

٣ ـ أقسام الزناة الأربعة :

أ ـ الزاني لا يرغب إلا في زانية .

ب ـ الزانية لا ترغب إلا في زان .

جـ ـ العفيف لا يرغب إلا في عفيفة .

د ـ العفيفة لا ترغب إلا في عفيف .

وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعاني وحاصرة للقسمة ، فنقول اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين واقتصرت على قسمين أحرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة ، فالقسم الأول صريح في القسم الاول ويفهم الثالث والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضي لانحصار رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة وذلك بعينه مقتض لانحصار رغبتها فيه ، ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والاعفاء بما لا يقل عن ذكر الزناة وجوداً وسلباً فان معنى الأول : الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثانية : العفيفة لا ينكحها زان ، والسر في ذلك أن الكلام في أحكامهم ، فذكر الاعفاء لسلب نقائصهم حتى لا يخرج الكلام عما هو المقصود منه ثم بينه في اسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث بخلاف قوله الزانية والزاني فانه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالا وقدم الزانية على الزاني ـ كما تقدم ـ والسبب فيه أن الكلام الاول في حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والاصل في النكاح الذكور وهم المبتدؤون بالخطبة فلم يسند إلا لهم لهذا وان كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث مناكحة الزناة ذكوراً وإناثاً زجراً لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ
أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ
أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ
غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

الاعراب :

(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام اللعان وهو مبسوط في كتب الفقه . والذين مبتدأ وجملة يرمون أزواجهم صلة وحذف التاء أفصح ولذلك جمع الزوج على أزواج ويتعين في الفرائض إثبات التاء ، ومتعلق يرمون محذوف أي بالزنا ، ولم الواو حالية أو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم خبر مقدم وشهداء اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وأنفسهم بدل من شهداء ويجوز أن تكون إلا بمعنى غير فتكون أنفسهم نعتاً لشهداء وقد ظهر عليها إعراب إلا على حد قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» . (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) الفاء واقعة في جواب اسم الموصول لتضمنه معنى الشرط وشهادة مبتدأ وأحدهم مضاف اليه وأربع شهادات

خبر المبتـدأ ، وقرأ العامة بنصب أربع ، فيكون خبر شهادة مقدر التقديم أي فعليهم شهادة أو مؤخر أي فشهادة أحدهم كائنة أو واجبة أو هو خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم ، وأما نصب أربع فهو نصب عـلى المصدر والعامـل فيه مصدر مثله وقد ناب عن المصدر عـدده ، وبالله جار ومجرور متعلقـان بشهادات أو بشهادة ، فالمسألة من باب التنازع ، وإن واسمها وكسرت همزة إن لوجود اللام ، واللام المزحلقة ومن الصادقين خبر إن وان وما بعدها مفعول شهادات أو شهادة أي يشهـد أنه صادق وجملة فشهادة أحـدهم خبر الذين • (والخامسة أن لعنة الله عليـه إن كان من الكاذبين) الواو اعتراضية والخامسة مبتدأ أي الشهادة الخامسة وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ولعنة الله اسم أن وعليه خبر أن وإن شرطية وكان فعـل الشرط واسم كان مستتر ومن الكاذبين خبر كان وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة والخامسة عطف على شهادة وأن لعنة الله بدل من الخامسة أو نصب بنزع الخافض أي بأن لعنة الله والأول أسهل • (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) جملة ويدرأ عطف على ما سبق ويدرأ فعل مضارع معناه يدفع وعنهـا متعلقان به والعـذاب مفعول به وأن تشـهد في تأويل مصدر فاعل يدرأ وأربع شهادات نصب على المصدر فهو نائب مفعول مطلق وبالله متعلقان بشهادات أو بأن تشهد كما تقدم في الأولى وانه لمن الكاذبين تقدم اعرابها • (والخامسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين) تقدم اعراب مثيلتها فجدد به عهداً • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله تواب حكيم) لولا حرف امتناع لوجود وفضل الله مبتدأ وخبره محذوف وجوباً كما تقدم وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل وان الله تواب ان واسمها وخبرها وهي معطوفة عـلى

فضل وجواب لولا محذوف للدليل على أمر محذوف لا يكتنه لعظمه وفداحته ، ورُبَّ مسكوت عنه أبلغ من منطوق به .

البلاغـة :

اشتملت هذه الآيات بالاضافة الى ما انطوت عليه من الأحكام والتشريع الصالح على العديد من فنون البلاغة وقد تقدم البحث فيها فنجتزىء بالالماع اليها :

١ ـ الالتفات : في قوله « ولولا فضل الله عليكم » فقد التفت من الغيبة الى الخطاب لتسجيل المنة ، على المخاطبين بحيث لا تبقى لديهم أعذار واهية يتشبثون بها إذا هم تجاوزوا حدود ما بيّنه لهم .

٢ ـ التغليب : فقد غلب صيغة الذكور على صيغة الاناث حيث لم يقل عليكم وعليكن لأنه بصدد مخاطبة الفريقين أي القاذفين والمقذوفات .

٣ ـ الحذف : وقد تكرر حذف المبتدأ والخبر كما رأيت في الاعراب وحذف جواب لولا أي كأن يقول الله في بيانه : فلان صادق بالزنا لكون المقذوفة قد زنت في نفس الواقع ، أو يقول فلان كاذب في قذفه لكون المقذوفة لم تزن في نفس الواقع ، وسدل الستار على ذلك كله لأن الغرض الأسمى هو الصون ، والصون يتطلب التحوّط ، والتحوط يستدعي السكوت عما لا يحسن التصريح به .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

اللغــة :

(الإفك) : أبلغ ما يكون من الكذب وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه .

(كبره) : كبر الشيء بكسر الكاف وسكون الباء معظمه ، قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة :

تنــام عن كبر شأنهـا فاذا قامت رويــداً تكاد تنغرف

الاعراب :

(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) الجملة مستأنفة للشروع في سرد قصة الإفك وتقع في ثماني عشرة آية ستأتي باطراد وهي تتعلق بعائشة رضي الله عنها ، وهي صالحة تستحق المديح والثناء فمن رماها بالسوء فكأنه قلب الحقائق وطمسها . وان واسمها وجملة جاءوا صلة الموصول وبالافك متعلقان بجاءوا وعصبة خبر إن ومنكم صفة لعصبة أي من المؤمنين ولو ظاهراً ، فقد كان عبد الله بن أبيّ وهو أحد الذين خاضوا في حديث الافك من كبار المنافقين ، وجملة لا تحسبوه مستأنفة

والخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم ، وستأتي قصة الافك في باب الفوائد . (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) لا جازمـة وتحسبوه مضارع مجزوم والواو فاعل والهاء مفعول به أول وشراً مفعول به ثان ولكم متعلقان بشر وبل حرف عطف واضراب وهو مبتدأ وخير خبر ولكم متعقان بخير ووجه الخير فيه ما يناله صاحب الابتلاء من مثوبة ثم ظهور الكرامة ونصوع الحق بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم والتهويل بالوعيد لمن خاض فيه عن سوء نية وقصد .

(لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم) لكل امرىء خبر مقدم ومنهم صفة لامرىء وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة اكتسب صلة ومن الاثم متعلقان باكتسب . (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) الواو استئنافية والذي مبتدأ وجملة تولى كبره صلة أي بالغ فيه وضخّم الأمور وزوّقها لسوء دخيلته وشر طويته ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال وهو عبد الله بن أبيّ المنافق ، وله خبر مقدم وعذاب عظيم مبتدأ مؤخر والجملة خبر الذي .

الفوائـــد :

حديث الافك :

جاء في صحيحي البخاري ومسلم على لسان عائشة قالت : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المـدينة وأذن بالرحيـل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت الى الرحل فاذا عقدي انقطع فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي

يجسبونني فيه وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقة من الطعام ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلج للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول » •

تفسير غريب الحديث :

أ ــ قوله في غزوة :قيل هي غزوة المريسيع وتسمى غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل في السادسة وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها وردها عليهم •

٢ ــ يأكلن العلقة : بضم العين وسكون اللام القليل من الطعام.

٣ ــ صفوان: هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي.

٤ ــ عرس : بتشديد الراء المفتوحة أي نزل ليلاً للاستراحة وهو خاص بآخر الليل •

٥* ـ أدلج : بتشديد الدال المفتوحة سار من أول الليل .

٦* ـ باسترجاعه : أي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .

٧* ـ خمرت وجهي بجلبابي : أي غطيته بالملاءة .

٨* ـ ووطىء على يدها : أي وضع رجله على ركبتها .

٩* ـ موغرين : في القاموس : الوغرة شدة الحر ووغرت الهاجرة كوعد وأوغروا دخلوا فيها ، والوغر ويحرك : الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيظ وقد وغر صدره كوعد ووجل وغراً ووغراً بالتحريك وفي المصباح : « ووقع في أرض فلاة صار فيها » .

رواية المستشرقين : هذا وقد شغل حديث الافك المستشرقين فصاغوه في روايات شتى نورد منها هنا للاطلاع رواية بروكلمن المستشرق الألماني صاحب كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » وفيما يلي نص تعريبه :

« وقام النبي خلال سنة ٦٢٧ أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية ولقد أبعد في إحداها حتى لقارب مكة وكانت هذه الغزوات آمنة الى حد ساعده على أن يصطحب فيها اثنتين من أزواجه ، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر ــ وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها ــ قلادتها فخرجت تبحث عنها مساء ففاتتها قوافل الغزاة ولم تعد الى المعسكر إلا في اليوم التالي وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي فردها الى بيت أبويها ولكن الله لم يلبث أن برأها بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموحاة الى النبي مضيفاً في الوقت نفسه أن أي اتهام

لامرأة بالخيانة الزوجية لا يؤيده أربعة شهود عيان يعتبر فرية أو قذفاً يستحق عليه صاحبه مائة جلدة ، وكان علي صهر النبي أحد خصوم عائشة الذين ألحوا عليه في طلاقها وليس من شك في أن جذور العداء الذي تكشفت عنه عائشة لعلي بعد أن استخلف على المسلمين ترجع الى هذه الحقبة ، ومهما يكن من شيء ، فلم يكن لحادثة العقد هذه أدنى تأثير على وضع المرأة الاجتماعي في الاسلام كما يظن : فالحجاب الذي تصطنعه النساء المتزوجات كان عادة عربية قديمة وكان النبي قد فرضه ، قبل هذه الحادثة ، لأسباب أخرى والواقع أن الحجاب لم يحل بين النساء في الجاهلية وفي الاسلام أيضاً حتى عهد الأمويين وبين الظهور في الناس في كثير من الحرية والتأثير في المجتمع العربي تأثيراً مذكوراً في بعض الاحيان ، إن مؤسسة الحريم التي وضع قواعدها العباسيون على غرار النموذج المسيحي ـ البيزنطي هي وحدها المسئولة عن انحطاط المرأة في الشرق » ولا تخلو رواية بروكلمن ، على دقتها من خلل وخطأ وتحامل خفي يحاول صاحبه إخفاءه ويأبى إلا أن يظهر ومن ذلك قوله « فردها الى بيت أبويها » •

العودة الى المدينة واللغط في الحديث :

ولنعد الى رواية عائشة نفسها في تتمة الحديث الآنف الذكر قالت:

« واشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ، ويريبني في وجعي أني لا أعرفه من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ثم عدنا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح •

قلت : بئس ما قلت !! أتسبين رجلاً قد شهد بدراً ؟

قالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟

قلت : وماذا قال ؟

فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضاً الى مرضي فلما رجعت الى بيتي استأذنت أن آتي أبوي : أريــد أن أتيقن الخبر من قبلهمـا فأذن لي •

قالت أمي : هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثّرن عليها •

قلت : سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم •

ودعا رسول الله عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود وقال لرسول الله : هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً •

وأما عليّ بن أبي طالب فقال : لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك •

فدعا رسول الله بَرِيرَةَ يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قد أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلهـا فتأتي الداجن فتأكله •

•••وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي •

فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله فسلم ثم جلس وتشهّد ثم قال : أما بعد يا عائشة فإني قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمحت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه •

فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة فقلت لأبي : أجب عني رسول الله فقال : والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ،

فقلت لأمي : أجيبي عني ، فقالت : كذلك والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ،

قلت : ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ : إني والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم : إني بريئة لا تصدقوني ، وإن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة ، لتصدقوني واني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون •

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي •

فلما سرّي عن رسول الله وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال : أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك •

قالت لي أمي : قومي اليه •

قلت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي •

وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فأقسم لا ينفق عليه شيئاً أبداً فأنزل الله عز وجل : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى ••• الى قوله : ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟

فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ورجع الى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه •

هذا وسيأتي في بقية الآيات ما يتعلق بهذا الحديث •

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ
هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ
بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم
بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) كلام مستأنفة للشروع في زجر الخائضين في الإفك وتوبيخهم على ما أرجفوا به وستأتي تسعه زواجر مترادفة وهذا هو الزاجر الأول • ولولا حرف تحضيض متضمن معنى الزجر والتوبيخ وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل كقوله تعالى « لولا أخرتني » وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بظن وجملة سمعتموه في محل جر باضافة الظرف اليها وظن المؤمنون فعل وفاعل والمؤمنات عطف وبأنفسهم متعلقان بخيراً وخيراً مفعول به ثان • (وقالوا هذا إفك مبين) وقالوا عطف على ظن وهذا مبتدأ وإفك خبر ومبين صفة والجملة الاسمية مقول القول وسيأتي القول في الالتفات الرائع بهذه الآية • (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء) لولا حرف تخصيص ثان وهذا هو الزاجر الثاني وجاءوا فعل وفاعل وعليه متعلقان بشهداء وبأربعة متعلقان بجاءوا وشهداء مضاف اليه ، فاذ الفاء عاطفة وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالكاذبون ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأتوا فعل مضارع مجزوم بلم والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها وبالشهداء متعلقان بيأتوا • (فأولئك عند الله هم الكاذبون) الفاء رابطة وأولئك مبتدأ وعند الله متعلقان بمحذوف حال أي في حكمه وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والكاذبون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وفضل الله مبتدأ حذف خبره وجوباً وهذا هو الزاجر الثالث ، وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال والآخرة عطف على الدنيا • (لمستكم فيما

أفضتم فيه عذاب عظيم) اللام واقعة في جواب لولا ومسكم فعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفيما متعلقان بمسكم وجملة أفضتم فيه صلة و « ما » عبارة عن حديث الافك والافاضة الاندفاع والخوض ويصح أن تكون ما مصدرية أي لمسكم بسبب إفاضتكم وخوضكم في الإفك ، وفيه متعلقان بأفضتم وعذاب فاعل وعظيم صفة • (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) وهذا هو الزاجر الرابع ، وإذ ظرف متعلق بمسكم أو بأفضتم وتلقونه فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه وهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والهاء مفعول به ، والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة ، والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها والمراد يرويه بعضكم عن بعض وبألسنتكم متعلقان بتلقونه ، وتقولون عطف على تلقونه وبأفواهكم متعلقان بتقولون ومامفعول تقولون وجملة ليس صلة الموصول وليس فعل ماض ناقص ولكم خبر وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس • (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وتحسبونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول وهيناً مفعول به ثان والواو للحال وهو مبتدأ وعند الله حال وعظيم خبر هو والجملة حالية •

البلاغـة :

١ ــ التعبير بالأنفس عن الآخرين :

التعبير بالأنفس عن الآخرين ينطوي على أبعد النكت مرمى وأكثرها حفولاً بالمعاني السامية ، فهو أولاً يهيب بالمؤمنين الى التعاطف واجراء التوبيخ على النفس بدلاً من أن يذكره بسوء وذلك أدعى الى اصطناعه وجعله محمولاً على الموالاة والاصطفاء وذلك بتصويره بصورة من

أخـذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيهـا من الفاحشة • وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس ؟ قالت له : لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً ؟ قال : لا ، قالت : ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني •

وهذا صحيح كل الصحة وبراءة عائشة واضحة ومفهومة بالبداهه لدى كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش وفي وضح النهـار ولغير ضرورة مع رجـل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام من غضب النبي وغضب المسلمين وغضب الله ، فتلك خلة تترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتاً ومنزلة وخلقاً وأنفة فكيف بها في مكانها المعلوم ، وهـذا هو المفهوم للتعبير عن الآخرين من المؤمنين بالنفس ، حدا بامرأة أبي أيوب الانصاري إلى أن تنزل زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم تثبت لنفسها ولزوجها البراءة والامانة حتى تثبت لصفوان وعائشة بطريق الأولى •

وهو ثانياً يحتمل أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيىء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بنوازع الايمان ووزائعه في حق غيره وألفاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى •

٢ ـ الالتفات :

وفي الكلام عدول عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر وسياق الحديث أن يقول « لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم » وانما اقتضت البلاغة هذا الالتفات والعدول عن الضمير الى

الظاهر للمبالغة في التوبيخ وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن ، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وكان جديراً بالآخرين الاحتذاء به : سمع حديثاً يلاك بين المنافقين ويسري الى المسلمين بل الى خاصة ذويه الأقربين ، حديثاً يسمعه رجل كعلي بن أبي طالب في بره نحيزته فلا يرى بعده حرجاً من الطلاق والنساء كثيرات ، سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة ولم يرفضه بغير بينة وكان عليه أن يعود زوجه المريضة أو يجفوها الى حين فعادها وبه من الرفق والانصاف ما يأبى عليه أن يفاتحها في مرضها بما يخامر نفسه الكريمة ، وبه من الموجدة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به والنفس صافية كل الصفاء وظل يسأل عنها سؤال متعتب ينتظر أن تشفى وأن تأتيه البينة فيشتد كل الشدة أو يرحم كل الرحمة ، ولا يعجله لغط الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجبه الحمية وما توجبه المروءة في آن .

عبد الله بن أبيّ ومسطح :

وإذا قيل إن عبد الله بن أبيّ كان من أصحاب العصبية التي يحسب حسابها وتتقى بوادرها فماذا يقال في مسطح وهو مكفول أبي بكر وصنيعته الذي يأكل من ماله ؟ ما الذي أنجاه من السخط والعقاب وكفل له دوام البر والمعونة لولا سماحة النبي الكريم وسماحة أبي بكر وسماحة القرآن ؟

٣ ــ المبالغة :

تقدم البحث في مثل هذا التعبير « تقولون بأفواهكم » والقول

لا يكون إلا بالفم فما معنى ذكر الأفواه ، ونعيد القول انه هنا للمبالغة والتعريض بأنه ربما يتمشدق ويقضي تمشدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع ومعناه أن الشيء المعلوم يكون وعلمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب .

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ
هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

الاعراب :

(ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) وهذا هو الزاجر الخامس ، ولولا حرف تحضيض وتوبيخ وإذ ظرف متعلق بقلتم أي كان ينبغي لكم بمجرد السماع الأول أن تقولوا : ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وأن تقولوا سبحانك ، وقال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف ؟ قلت للظروف شأن وهو

تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فدلك يتسع فيها مالا يتسع في غيرها » ورد عليه أبو حيان فقال « وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف وهو جار في المفعول به تقول لولا زيداً ضربت ولولا عمراً قتلت ، وسيأتي سر تقديم الظرف في باب البلاغة • وجملة سمعتموه مضاف اليها الظرف وجملة قلتم لا محل لها لأنها ابتدائية وما نافية ويكون فعل مضارع ناقص ولنا خبرها المقدم وأن ومافي حيزها اسمها المؤخر وبهذا متعلقان بنتكلم وسبحانك مفعول مطلق وجملة سبحانك في محل نصب حال لأن معناه التعجب والمعنى هلا قلتم ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا حال كونكم متعجبين من هذا الأمر العجيب الغريب • (سبحانك هذا بهتان عظيم) وهذا مبتدأ وبهتان خبر وعظيم صفة • (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) وهذا هو الزاجر السادس ويعظكم وقد ضمن معنى فعل يتعدى بعن ثم حذف الجار أي ينهاكم عن العودة وهي فعل مضارع ومفعول به والله فاعل وأن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض ولمثله متعلقان بتعودوا وأبداً ظرف زمان متعلق بتعودوا أيضاً ، وقيل لاتضمين في معنى يعظكم ، وأن وما بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف أي كراهة أن تعودوا ، وإن شرطية وكنتم كان واسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم مؤمنين فلا تعودوا لمثله • (ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) الواو عاطفة ويبين الله فعل وفاعل ولكم متعلقان ببيين والآيات مفعول به والله مبتدأ وعليم حكيم خبران لله • (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) جملة مستأنفة مسوقة لايراد الزاجر السابع وإن واسمها وجملة يحبون صلة وأن ومافي حيزها مفعول يحبون والفاحشة فاعل وفي الذين آمنوا متعلقان بتشيع • (لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم

لا تعلمون) لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن وأليم صفة وفي الدنيا والآخرة صفة ثانية ، ففي الدنيا ثبت بالحد للقذف ، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل ذلك . والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأنتم مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر . (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رءوف رحيم) وهذا هو الزاجر الثامن ولولا امتناعية وفضل الله عليكم مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ورحمته عطف على فضل وإن الله رءوف رحيم عطف على فضل الله وجواب لولا محذوف أي لعاجلكم بالعقوبة .

الفوائد :

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حد القاذفين الأربعة وهم عبد الله بن أبيّ وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش ، وقعد صفوان لحسان بن ثابت وضربه بالسيف فكف بصره وفي ذلك يقول :

توّق ذباب السيف عني فإنني
غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حماي وأتقى
من الباهت الرامي البريء الظواهر

وأنشد حسان بن ثابت أبياتاً يثني فيها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ ويبرئها مما نسب اليها ومنها :

حصان رزان ما تزنّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس ديناً ومنصباً نبيّ الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غـالب كرام المساعي مجدها غير زائل
مهـذّبة قد طيب الله جنيهـا وطهرها من كل شين وباطـل
فإن كـان ما بلغت عني قلته فـلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي ماحييت ونصرتي بآل رسول الله زين المحافـل
له رتب عال على الناس فضلها تقاصر عنهـا سورة المتطاول

البلاغـة :

١ ـ التقديم والتأخير :

في قوله تعالى « ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ » قدم الظرف لفائدة هامة وهي بيان انه كان من الواجب أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم ، وجب التقديم . ولعبد القاهر في دلائل الاعجاز بحث عن التقديم والتأخير يقول فيه : باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام ويعلو بها أسلوب على أسلوب ويبدو بها إعجاز القرآن .

٢ ـ سر التعجب :

في كلمة التعجب « سبحانك » سر عجيب وهو أن الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه .

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ
أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ
أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا
كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ
لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

اللغــة :

(خطوات) : جمع خطوة بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء ، وكل ما كان على وزن فعل بكسر الفاء أو فعل بفتح الفاء مع سكون

العين جاز لنا إذا أردنا أن نجمعه جمعاً مؤنثاً سالماً الاتباع والفتح والتسكين فنقول في خطوة خُطُوات وخُطَوات وخُطْوات .

(زكى) : طهر من دنس .

(يأتل) : في المختار « وآلى يؤلي إيلاء حلف وتألى وائتلى مثله قلت : ومنه قوله تعالى « ولا يأتل أولو الفضل منكم » والألية اليمين وجمعها ألايا » وقيل هو من قولهم ما ألوت جهداً إذا لم تدخر شيئاً .

(الغافلات) : السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات . قال :

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها

لهوت : تلاهيت ولعبت بطفلة بالفتح أي امرأة ناعمة لينة ، يقال امرأة طفلة الأنامل أي رخصتها لينتها ، وميالة : مختالة ، وبلهاء : غافلة لا مكر عندها ولا دهاء فلذلك تطلعني على ضمائرها .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) وهذا هو الزاجر التاسع والأخير ، ولا ناهية وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا وخطوات الشيطان مفعول به . (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويتبع فعل الشرط وخطوات الشيطان مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وان واسمها وجملة يأمر بالفحشاء والمنكر خبرها

والضمير في انه يعود على الشيطان أو على المتبع والأول أظهر • (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً) لولا امتناعية وقد تقدم اعرابها وما نافية وزكى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد ومن حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به وأبداً ظرف متعلق بزكى • (ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة يزكي خبرها ومن يشاء مفعول يزكي والله مبتدأ وسميع خبر أول وعليم خبر ثان أي أنه سبحانه سميع لمقالهم عليم بنياتهم • (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) تقدم القول مسهباً في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في شأن مسطح بن أثاثة بضم الهمزة وفتحها • ولا ناهية ويأتل فعل مضارع مجزوم بلا وأولو فاعل ملحق بجمع المذكر السالم والفضل مضاف اليه ومنكم حال والسعة عطف على الفضل ، وأن يؤتوا : أن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض مع حذف لا النافية والتقدير على أن لا يؤتوا وأولي القربى مفعول وما بعدها عطف عليه • (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويعفوا مضارع مجزوم بلام الأمر وليصفحوا عطف والهمزة للاستفهام ولا نافية وتحبون فعل مضارع مرفوع وأن ومافي حيزها مفعول تحبون والله فاعل ولكم متعلقان بيغفر والله مبتدأ وغفور خبر أول ورحيم خبر ثان • (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) كلام مستأنف مسوق لتقريع الخائضين في الإفك ووعيدهم الشديد وعتابهم البليغ • وإن واسمها وجملة يرمون المحصنات صلة والمحصنات مفعول به والغافلات المؤمنات عطف على المحصنات وجملة لعنوا خبر إن وفي الدنيا

والآخرة متعلقان بلعنوا ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة . (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) الظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به « ولهم » ويجوز تعليقه بالمصدر وهو عذاب لأن الظروف يتسع فيها مالا يتسع في غيرها ، وجملة تشهد في محل جر باضافة الظرف اليها وعليهم متعلقان بتشهد وألسنتهم فاعل وأيديهم وأرجلهم عطف على ألسنتهم وبما جار ومجرور متعلقان بتشهد وجملة كانوا لا محل لها لأنها صلة ولك أن تجعل ما مصدر وكان واسمها وجملة يعملون خبرها وقد مرت لها نظائر . (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) الظرف متعلق بيعملون أو بيوفيهم وقد تقدم البحث في إضافة إذ للظرف والتنوين اللاحق لإذ ، ويوفيهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل ودينهم مفعول به ثان والحق نعت لدينهم والمراد بدينهم الحق جزاؤهم الواجب عليه وفي الحديث « كما تدين تدان » . (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) ويعلمون عطف على يوفيهم وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي يعلمون وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر أن أو خبر هو والجملة الاسمية خبر أن والمبين صفة . (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) كلام مستأنف مسوق لبيان سنة الله في خلقه في أن يسوق كل صنف إلى صنفه وأن يقع كل طير على شكله . والخبيثات مبتدأ وللخبيثين خبره وما بعده عطف عليه وسيرد معنى ذلك في باب البلاغة . (أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) أولئك مبتدأ والاشارة الى الطيبين وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة ، ومبرءون خبر أولئك ومما متعلقان بمبرءون لأنه اسم مفعول وجملة يقولون صلة ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة خبر ثان لأولئك ورزق كريم عطف عليه .

البلاغــة :

١ ــ المجاز العقلي في شهــادة الأيدي والأرجــل وقد تقدم بحثه مستوفى •

٢ ــ أراد بالمحصنات العمــوم وان كان الحــديث مسوقاً عن عائشة والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من وقــع في قذف سيدتهن ! على أن تعميم الوعد أبلــغ وأقطع من تخصيصه ، ولهذا عممت زليخا حين قالت « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » فعممت وأرادت يوسف تهويلاً عليه وارجافاً •

٣ ــ يحتمل أن يراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين الرجال فيكون الكلام جارياً على حقيقته ويجوز أن يراد الكلمات التي صيغ منها الإفك فيكون الكلام مجازاً بالاستعارة التصريحية •

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) كلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات خلواتهن • ولا ناهية وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا وبيوتاً مفعول به على السعة وقد تقدم بحث ذلك وغير بيوتكم صفة لبيوتاً وحتى حرف غاية وجر وتستأنسوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ومعنى الاستئناس الاستئذان على طريق الكناية ، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة ، وتسلموا عطف على تستأنسوا وعلى أهلها متعلقان بتسلموا • (ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) ذلكم مبتدأ وخير خبر ولكم متعلقان بخير ولعل واسمها وجملة تذكرون خبر لعل وجملة ذلكم مستأنفة وجملة لعلكم تذكرون حال معللة لفصل محذوف أي أنزل عليكم هذا آملين أن تتذكروا • (فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتجدوا مضارع مجزوم بلم وفيها متعلقان بتجدوا وأحداً مفعول به ، فلا تدخلوها الفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتدخلوها مضارع مجزوم بلا الناهية وحتى حرف غاية وجر ويؤذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ويؤذن مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر ولكم متعلقان بيؤذن• (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) الواو عاطفة وإن شرطية وقيل لكم فعل الشرط وجملة ارجعوا مقول القول ، فارجعوا الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه طلبي وهو مبتدأ وأزكى لكم خبر والجملة مستأنفة ، والله الواو استئنافية والله مبتدأ وبما تعملون متعلقان بعليم وعليم خبر الله •

(ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم) ليس فعل ماض ناقص وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي في أن تدخلوا والجار والمجرور صفة لجناح وبيوتاً مفعول به على السعة وغير مسكونة نعت لبيوتاً وفيها خبر مقدم ومتاع لكم مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لبيوتاً • (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) والله الواو ستئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول به وجملة تبدون صلة وما تكتمون عطف على ما تبدون •

البلاغة :

١ ـ الكناية في قوله تستأنسوا : فإن أصل معناها الاستئناس وهو ضد الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو متردد مستطار القلب مستوحش ، أو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له بالدخول استأنس وزايله تردّده واستطارة قلبه ، وقد أريد المعنى البعيد منه وهو الاستئذان •

٢ ـ الإرداف وقد تقدم أنه هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الاشارة الدال على المعاني الكثيرة بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قرب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف ، وواضح أن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن ، ويجوز أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً وعليه يكون المعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ، والوجه الأول هو البين ، وسر التجوز فيه والعدول اليه عن

الحقيقة ترغيب المخاطبين في الاتيان بالاستئذان بواسطة ، وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث عن الاستئذان .

الفوائــد :

في القرطبي سبب نزول هذه الآية كما روى الطبراني وغيره عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي ، وانه لا يزال يدخــل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فنزلت هــذه الآية ، فقــال أبو بكر : يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فأنزل الله ليس عليكم جناح ... الآية .

وعن أبي موسى الأشعري انه أتى باب عمر رضي الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثاً ثم رجع وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثاً . واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أألج ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولي له : يقول السلام عليكم أأدخــل فسمعها الرجل فقالها ، فقال : ادخل . وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غــير بيته : حييتم صباحاً وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد ، فصدّ الله عن ذلك وعلم الأحسن والأجمل .

أما البيوت التي استثناها الله فهي غــير المسكونة نحو الفنادق والربط المسبلة وحوانيت البياعين والمنازل المبنية للنزول وايواء المتاع

فيها واتقاء الحر والبرد وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء .

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

اللغـــة :

(يغضضن) : الغض : اطبـاق الجفن بحيث تمتنع الرؤية وفي المصباح : «غض الرجل صوته وطرفه ومن صوته ومن طرفه غضاً من باب

قتل خفض ومنه يقال غض من فلان غضاً وغضاضة إذا انتقصه» وقد أدغم في الأول أحد المثلين في الثاني بخلاف الثاني لأن الثاني في يغضضن متحرك فادغم فيه الاول وفيما سيأتي ساكن فلم يتأت إدغام الاول فيه ، قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير　　فلا كعباً بلغت ولا كلابا

(زينتهن) : الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة بالتحريك وهي حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها فص فهو الخاتم ، والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل وهو -كما في الصحاح- يشبه عصابة تزين بالجوهر ويسمى التاج إكليلاً والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين.

(بخمرهن) الخمر بضم الخاء والميم جمع خمار بكسر الخاء وهو ما تغطي به المرأة رأسها والستر عموماً ويجمع على أخمرة وخمر بضم الخاء وسكون الميم وخمر بضمتين .

(جيوبهن) : جمع جيب والجيب من القميص طوقه والقلب والصدر وعند العامة الجيب هو كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج .

(أولي الإربة) : أصحاب الإربة ، والإربة الحاجة وفي المصباح : « الأرب : بفتحتين والإربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمها الحاجة والجمع المآرب والأرب في الاصل مصدر من باب تعب يقال أرب الرجل الى الشيء إذا احتاج اليه فهو آرب على فاعل والإرْب بالكسر يستعمل في الحاجة وفي العضو والجمع آراب مثل حمل وأحمال » .

الاعراب :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً كلياً . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف وهو أمر آخر مثله وقد حذف لدلالة جوابه عليه وهو يغضوا من أبصارهم ويغضوا فعل مضارع جزم لأنه جواب الأمر المحذوف وهو غضوا أو مقول القول ، ومن أبصارهم : قال الزمخشري : « من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار على ما يحل ، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه » ويجوز أن تكون للبيان أو لابتداء الغاية وعلى كل حال فهي متعلقة بيغضوا وسيأتي السبب في دخول من على الأبصار دون الفروج في باب البلاغة ، ويحفظوا عطف على يغضوا وفروجهم مفعول به . (ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) ذلك مبتدأ وأزكى خبره ولهم متعلقان بأزكى وان واسمها وخبرها وبما متعلقان بخبير وجملة يصنعون لا محل لها . (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) تقدم اعراب نظيرتها ، أي فلا يحل للرجل أن ينظر الى المرأة ولا للمرأة أن تنظر الى الرجل فإن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها ومن طريف ما يلفت النظر أن هذه الآية اشتملت على عدد كبير من ضمائر الاناث وقد بلغت عدتها خمسة وعشرين ضميراً ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الصدد . (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) الواو حرف عطف ويبدين عطف على يغضضن فهو مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم والنون فاعل وزينتهن مفعول به وإلا أداة

حصر وما بدل من زينتهن وجملة ظهر منها صلة والمراد بالظاهر الوجه والكفان فيجوز أن ينظرها الأجنبي إن لم يخف فتنة كما هو مقرر في علم الفقه . (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويضربن فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم باللام والنون فاعل وبخمرهن الباء زائدة أو تبعيضية أي يلقين خمرهن على جيوبهن أي يسترن الرءوس والاعناق والصدور بالمقانع جمع مقنعة أو مقنع بكسر الميم فيهما وهي ما يغطى به الرأس . (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) الواو عاطفة ولا ناهية ويبدين مضارع مبني في محل جزم والنون فاعل وزينتهن مفعول به وإلا أداة حصر ولبعولتهن متعلقان بيبدين وهذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها الطفل . (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) كلهن معطوفات . (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) غير صفة للتابعين والمراد بالتابعين غير أولي الإربة موضع خلاف ، قال ابن عباس : التابع هو العنين الاحمق ، وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث . أقول : والعنين والمخنث هو المشبه بالنساء والشيخ الهرم وأما المجبوب فهو الذي بقي أنثياه والخصي هو الذي بقي ذكره . ومن الرجال حال وأو حرف عطف والطفل معطوف على ما تقدم وهو بمعنى الأطفال فأل جنسية والطفل يطلق على الواحد والمجموع فلذلك وصف بالجمع وقيل لما قصد الجنس روعي فيه الجمع ، والذين صفة وجملة لم يظهروا صلة وعلى عورات النساء متعلقان بيظهروا . (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) الواو عطف على ما تقدم ولا ناهية ويضربن فعل

مضارع مبني في محل جزم بلا والنون فاعل وبأرجلهن متعلقان بيضربن، كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين فإن ذلك يورث الرجال ميلاً اليهن ويوهم أن لهن ميلاً الى الرجال ، وقال الزجاج « وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من ابدائها » • (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) الواو عاطفة وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والى الله متعلقان بتوبوا وجميعاً حال وأيها المؤمنون منادى نكرة مقصودة وقد تقدم اعرابه ولعل واسمها وجملة تفلحون خبرها وقد رسمت في المصحف دون ألف والرسم سنة متبعة •

البلاغة :

ـ من الاسرار التي تدق على الافهام دخول من الجارة على غض الابصار دون الفروج في قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » والسر في ذلك أن أمر النظر واسع لا يني يسرح في مراتع الجمال ومواطن الفتنة ، قال الزمخشري بهذا الصدد : « ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات للبيع وأما أمر الفروج فمضيق » •

ـ ومن هذه الأسرار تقديم غض الابصار على حفظ الفروج في الاية نفسها وفي الآية التي تليها ، والسر فيه أن النظر بريد الزنا ورائده الذي لا يخطىء • وقد أفاض الشعراء في القديم والحديث فيما تحدثه

النظرة من إلهاب نار الحب ، وتأريث الحرقة التي تدفع الى ارتكاب المحرم ومن أجمل ما قيل فيه قول ابن زيدون :

حسنٌ أفانين لم تستوف أعيننا
غاياته بأفانين من النظر

وقال ابن الرومي :

عيني لعينك حين تنظر مقتل لكن لحظك سهم حتف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك لحظ وهو مني مقتل

وسيرد في كتابنا العجيب منه .

وفيما يلي طائفة من الأحاديث الواردة بهذا الصدد :

« عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه : النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه » أي جعلت بدله إيماناً يشعر بلذاته في قلبه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويُصدّق ذلك الفرج أو يكذبه » . والمعنى أن الله تعالى يعذب العين بالنار يوم القيامة لتطلعها الى محرم بقصد بلا فجاءة ، والخطا بفتح الخاء المشي الى المعصية .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : الحم الموت » رواه البخاري ومسلم ثم قال : ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » .

والحم بفتح الحاء وتخفيف الميم وباثبات الواو أيضاً وبالهمز أيضاً هو أبو الزوج ومن أدلى به كالأخ والعم وابن العم ونحوهم وهو المراد هنا كذا فسره الليث بن سعد وغيره وأبو المرأة أيضاً ومن أدلى به وقيل بل هو قريب الزوج فقط وقيل قريب الزوجة فقط . قال أبو عبيد في معناه يعني فليمت ولا يفعلن ذلك فاذا كان هذا رواية في أب الزوج وهو محرم فكيف بالغريب ؟ ومعنى الحمو الموت : أي الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول الى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه .

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى

ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾

اللغــــة :

(الأيامى) : جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكراً كانت أو ثيباً ومن ليس له زوج وهذا في الاحرار والحرائر بقرينة قوله وإمائكم ، وتجمع الأيم أيضاً على أيائم وأيّمون وأيمات يقال آم يئيم الرجل من زوجه أو المرأة من زوجها فقدها أو فقدته ، وأصـــل الأيامى أيائم كما قال الزمخشري ومثله يتامى في يتائم وأجـاز سيبويه أن يكون غـير مقلوب وانه جمع على فعالى ، وقال الشاعر :

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي   وإن كنت أفتى منكـم أتأيم

يقول لمحبوبته : إن تتزوجي أتزوج وإن لم تتزوجي لم أتزوج ، وجملة وان كنت أفتى منكم اعتراضية ، والأفتى الأكثر فتية وشباباً ، ورفع المضارع في جواب الشرط كما هنا قليل ، وقد ورد في الشعر اذا كان الشرط فعلاً ماضياً كما هنا ، وفي الحديث : « اللهم إني أعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم » أما العيمة فهي شدة شهوة اللبن والغيمة شدة شهوة العطش والأيمـة طول العزبة والكزم شدة شهوة الأكل ، قـال في الصحاح : كزم الشيء بمقـدّم فيه أي كسره واستخرج ما فيه ، والقرم شد شهوة اللحم •

(الكتاب) : والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة : هو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت لك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ، وله أحكام مبسوطة في كتب الفقه • وفي الأساس واللسان : « كتب عليه كذا : قضي عليه ، وكتب الله الأجل والرزق وكتب على عباده الطاعة وعلى نفسه الرحمة وهذا كتاب الله : قدره ، قال الجعدي :

يا بنت عمي كتاب الله أخرني عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا

(البغاء) : الزناء وبغت فلانة بغاء وهي بغي : طلوب للرجال وهن بغايا ومنه قيل للإماء البغايا لأنهن كن يباغين في الجاهلية يقال قامت البغايا على رؤوسهم ، قال الأعشى :

والبغايا يركضن أكسية الاضـ ـريج والشّرعبيّ ذا الأذيال

وفي المصباح : « وبغت المرأة تبغي بغاء بالكسر والمد من باب رمى فجرت وهي بغي والجمع البغايا وهو وصف مختص بالمرأة فلا يقال للرجل بغي قاله الأزهري والبغي القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الأصل قاله الجوهري ولا يُراد به الشتم لأنه اسم جعل كاللقب والأمة تباغي أي تزاني •

الاعراب :

(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم النكاح ، والأمر

للوجوب إن كانت المرأة محتاجة للنكاح خوف الزنا أو كان الرجـل محتاجاً للنكاح خوف الزنا فإن لم تكن ثمة حاجة كان الأمر للاباحة كما رأى الشافعي ، أو للندب كما رأى أبو حنيفة ومالك ، والتفصيل في كتب الفقه والأيامى مفعول به ومنكم حال والصالحين عطف على الأيامى ومن عبادكم حال وإمائكم عطف على عبادكم • (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) إن شرطية ويكونوا فعل الشرط والواو أسمها وفقراء خبرها ويغنهم الله جواب الشرط ومن فضله متعلقان بيغنهم والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليـم خبر ثان • (وليستعفف الـذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) الواو عاطفة واللام لام الأمـر ويستعفف مضارع مجزوم بلام الأمر والـذين فاعـل وجملة لايجدون صلة ونكاحاً مفعول به وحتى حرف غاية وجر ويغنيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعل ومن فضله متعلقان بيغنيهم • (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) والذين نصب عـلى الاشتغال أي منصوب بفعـل مقدر يفسره المذكور ويجوز اعرابه مبتدأ وخبره جملة فكاتبوهـم والأول أرجح لمكان الأمر وجملة يبتغون الكتاب صلة ومما حال وجملة ملكت أيمانكم صلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وكاتبوهم فعل أمر والواو فاعل والجملة مفسرة على الوجه الاول وخبر على الوجه الثاني وإن شرطية وعلمتم فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشـرط وفيهم متعلقان بعلمتم وخيراً مفعول به والجواب محذوف دل عليه قوله فكاتبوهم (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) وآتوهم عطف عـلى فكاتبوهم ومن مال الله متعلقان بآتوهم والذي صفة لله وجملة آتاكم صلة للموصول • (ولا تكرهوا فتياتكم عـلى البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) الواو عاطفة ولا ناهية وتكرهوا فعـل

مضارع مجزوم بلا الناهية وعلى البغـاء متعلقان بتكرهوا وإن شرطية وأردن فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وتحصناً مفعول له والجواب محذوف كما تقـدم ولتبتغوا اللام للتعليل وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعـل وعرض الحياة الدنيا مفعول به • (ومن يكرههن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكرههن فعل الشرط والفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وان واسمها ومن بعد اكراههن حال وغفور خبر إن الاول ورحيم خبرها الثاني •

البلاغـة :

الاحتراس : في قوله تعالى « إن أردن تحصناً » فقد أقحم هذا الاعتراض ليبشع ذلك عند المخاطب ويحـذره من الوقوع فيه ولكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي ، ووجـه التبشيع عليه أن مضمون الآية النـداء عليه بأن أمته خير منه لأنهـا آثرت التحصّن عن الفاحشة وهو يأبى إلا اكراهها ، ولأبي السعود قول جميل في هذا الصدد : « وقولـه تعالى إن أردن تحصناً ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصحّحة للاكراه في الجملة بل للمحافظة عـلى عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهوهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح » •

هذا ومن المفيد أن نذكر سبب نزول هـذه الآية فقد ذكروا أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ ، كان يكره جواريه على الكسب بالزنا وكنّ ستاً فشكا منهن اثنتان الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ، وأسماء هذه الجواري هي : معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة .

الفوائد :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخاري ومسلم .

وانما خص الشباب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ ، والباءة الجماع واستعمل لعقد النكاح ، قال الجوهري : الباءة مثل الباعة ومنه سمي النكاح باءة ، والوجاء أصله رض الخصيتين . قال النووي في شرح مسلم : « معناه من استطاع منكم الجماع لقدرته على مئونته وهي مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء » وهناك قول آخر وهو أن المراد بالباءة مؤن النكاح ، سميت باسم ما يلازمها وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، قالوا : والعاجز لايحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة بالمؤن

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

اللغـــة :

(كمشكاة) : المشكاه : الكوة غير النافذة ، وقيل هي الحديدة أو الرصاصة التي يوضع فيها الزيت ، وقيل هي العمود الذي يوضع على رأسه المصباح ، وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدة ، وفي القاموس وشرحه : المشكاة كل كوة غير نافذة وكل ما يوضع فيه أو

عليه المصباح ، وقيل المشكاة حبشية معربة ، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغه •

(زجاجة) : الزجاج بفتح الزاي وضمها وكسرها : جسم شفاف يصنع من الرمل والقلي والإناء والقطعة منه زجاجة بتثليث الزاي أيضاً وأراد قنديلاً من زجاج شامي أزهر •

(دري) : مضيء ، بضم الدال من غير همز وبالتشديد منسوب الى الدر شبّه به لصفائه وإضاءته ، ويجوز أن يكون أصله الهمز ولكن خففت الهمزة وهو فعيل من الدر وهو دفع الظلمة بضوئه ويقرأ بالكسر على معنى الوجه الثاني ويكون على فعيل كسكيت وصديق وفي المختار : « الدرء الدفع وبابه قطع ودرأ طلع مفاجأة وبابه خضع ومنه كوكب دريء كسكيت لشدة توقده وتلألؤه ، ودريٌّ بالضم منسوب الى الدر ، وقرىء دريء بالضم والهمزة ودريء بالفتح والهمز ، وتدارأتم وتدافعتم واختلفتم » وفي الاساس : « وكوكب دُرّي وطلعت الدراري نسبت الى الدار وهو كبار اللؤلؤ » وفيه أيضاً : « ومن المجاز : درأ الكوكب : طلع كأنه يدرأ الظلام ودرأت النار أضاءت » •

(الآصال) : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب ويجمع أيضاً على أصائل وأصل وأصلان •

الاعراب :

(ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حقيقة الآيات المنزلة • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق

وأنزلنا فعل وفاعل وإليكم متعلقان بأنزلنا وآيات مفعول به ومبينات صفة وهي بكسر الياء وفتحها ومثلاً عطف على آيات ومن الذين صفة لمثلاً وجملة خلوا صلة ومن قبلكم حال وموعظة عطف على مثلاً وللمتقين صفة لموعظة . (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الله مبتدأ ونور السموات والأرض خبره ومثل مبتدأ ونوره مضاف اليه والكاف اسم بمعنى مثل خبر ومشكاة مضاف اليه ، ويجوز اعراب الكاف حرف جر والجار والمجرور خبر مثل، وفيها خبر مقدم ومصباح مبتدأ مؤخر والجملة صفة لمشكاة وسيأتي تحقيق هذا الكلام في باب البلاغة وجملة مثل نوره تفسير لما قبلها فلا محل لها . (المصباح في زجاجة) مبتدأ وخبر والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها . (الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) الزجاجة مبتدأ وكأن واسمها وكوكب خبرها ودري صفة لكوكب والجملة خبر الزجاجة وجملة الزجاجة الخ تفسير لما قبلها فلا محل لها وجملة يوقد صفة ثانية لكوكب ونائب الفاعل مستتر ومن شجرة جار ومجرور متعلقان بيوقد وهي لابتداء الغاية على حذف مضاف أي من زيت شجرة ومباركة صفة لشجرة وزيتونة بدل من شجرة ولا شرقية صفة ثانية لشجرة ودخلت لالتفيد النفي فلا تحول بين الصفة والموصوف ، ولا غربية عطف وسيأتي المزيد من بيان هذا المعنى في باب البلاغة . (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور) هذه الجملة صفة ثالثة لشجرة ويكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة وزيتها اسمها وجملة يضيء خبرها ، ولو الواو حالية ولو شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتمسسه فعل مضارع مجزوم بلم وجواب لو محذوف أي لأضاء بدلالة ما تقدم عليه والجملة حال فلو هنا تفيد استقصاء الاحوال أي حتى في هذه الحال ونار فاعل تمسسه ونور خبر

لمبتدأ محذوف أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف وعلى نور متعلقان بمحـذوف صفة لنور مؤكدة له وسيأتي سر تنكـير النور في باب البلاغة . (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تنفيـذ مشيئته سبحانه ، ولنوره متعلقان بيهدي ومن يشاء مفعول يهدي وجملة يشاء صلة ويضرب الله فعـل مضارع وفاعل والأمثـال مفعول به وللناس متعلقان بيضرب ، والله الواو استئنافية أو عاطفة والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر الله . (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) في بيوت صفـة لمشكاة أي كمشكـاة في بيوت أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلقان بيوقد ، وعلى هذا لايوقف على عليم ، ولك أن تقف على عليم فتعلقه بمحذوف تقديره سبحوه في بيوت أو بيسبح وقال ابن الأنباري : سمعت أبا العباس يقول : هو حـال للمصباح والزجاجـة والكوكب كأنه قيل : وهو في بيوت ، وقيل متعلقان بتوقد أي توقد في بيوت ، وجملة أذن الله صفة لبيوت وأن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن ترفع ، ويذكر عطف على ترفع بالبناء للمجهول وفيها متعلقان بيذكر واسمه نائب فاعل . (يسبح له فيها بالغـدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) الجملة صفة ثانية لبيوت وله متعلقان بيسبح وبالغدو والآصال حـال ورجال فاعل يسبح وجملة لاتلهيهم صفة لرجال وتجارة فاعل تلهيهـم ولا بيع عطف على تجارة وعن ذكر الله متعلقان بتلهيهم وما بعده عطف على ذكر الله . (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) الجملةصفة ثانية لرجال أو حال من مفعول تلهيهم ويخافون فعل وفاعل ويوماً مفعول به لا ظرف وجملة تتقلب صفـة ليوماً وفيه متعلقان بتتقلب والقلوب فاعل تتقلب والابصار عطف عـلى القلوب . (ليجزيهـم الله أحسن

ما عملوا ويزيدهم من فضله) اللام للتعليل ويجزيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والهاء مفعول به أول والله فاعل وأحسن مفعول به ثان وما مضاف اليه وجملة عملوا صلة ويزيدهم عطف على ليجزيهم ومن فضله متعلقان بيزيدهم • (والله يرزق من يشاء بغير حساب) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يرزق خبر ومن مفعول به وجملة يشاء صلة وبغير حساب حال •

البلاغـة :

حفلت هذه الآيات بأفانين شتى من البلاغة والبيان وسنسهب فيها بعض الشيء جرياً على ما درجنا عليه في هذا الكتاب وسنوزع هـذه المباحث نجوماً متتالية •

١ً ـ التشبيه البليغ في قوله تعالى « الله نور السماء والأرض » والمراد به المضمر الأداة وقد سبق ذكره مع أقسام التشبيه وانما سمي بليغاً لحذف واسطة الأداة ولو جازته بسبب هذا الحذف، وقدتكلم علماء البيان مطولاً في هذا التشبيه وحاولوا تجسيد الكيفية التي ساغ فيها هـذا التشبيه لأن النور كما هو معلوم كيفية أو عرض يدرك بالبصر فلا يصح حمله على الذات المقدسة ، وأحسن ما يقال فيه أن التشبيه جار على التقريب للذهن ، أي : به تعالى وبقدرته أقارت أضواء السماء والأرض واستقامت أمورها لأن ظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات ، أو انه على التجوز أي منور السماء والأرض ، أو بتقدير مضاف كقولك زيد عدل أي ذو عدول •

٢ً ـ التشبيه المرسل في قولـه « مثل نوره كمشكـاة فيهـا مصباح ••• الآية » فقد جاء التشبيه هنا بواسطة الأداة وهي الكاف ،

والمراد أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناحر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، واختلفوا في هذا التشبيه هل هو تشبيه تمثيلي أي مركب قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه هداه واتقانه صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه وهو أبلغ صفات النور عندكم، أو تشبيه غير تمثيلي أي غير مركب قصد فيه مقابلة جزء بجزء، وأجاز القرطبي الوجهين وهذا نص عبارته :

« قوله مثل نوره أي صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن والدلائل تسمى نوراً وقد سمى الله تعالى كتابه نوراً فقال : « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » وسمى نبيه نوراً فقال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول، ووجه الاضافة الى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها، وتحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة وذلك أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر » .

وأبدع الكرخي في تحديده هذا التشبيه التمثيلي فقال : « ... ومثل الله نوره أي معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس مع أن نورها أتم لأن المقصود تمثيل النور في القلب والقلب في الصدر والصدر في البدن بالمصباح والمصباح في الزجاجة والزجاجة في القنديل وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها

ولأن نور الشمس يشرق متوجهاً الى العالم السفلي ونور المعرفة يشرق متوجهاً الى العالم العلوي كنور المصباح ، ولكثرة نفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالباً وقع التشبيه في نوره دون نور الشمع مع أنه أتم من نور المصباح » .

٣ ــ الطباق : في قوله تعالى « لا شرقية ولا غربية » وقد تكلم علماء البيان كثيراً عن هــذا الطباق والمقصود منه ، قال الزمخشري : « وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة (وهو المكان الذي لا تطلــع عليه الشمس) ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليهــا وذلك أجود لحملهــا وأصفى لدهنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خــير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهي شرقية وغربية » .

ولابن الاثير كلام لطيف في هذا الصدد قال : « أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فإن هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليــه انه قال : « توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية » واذا نظرت الى هــذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً وذاك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقي فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار منــيرة من قبل مصافحة الأنوار » .

٤ً ـ التنكير : في تنكير قوله « نور على نور » ضرب من الفخامة والمبالغة لا أرشق ولا أجمل منه فليس هو نوراً واحداً معيناً أو غير معين فوق نور آخر مثله ، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين . وقد استهوى هذا التعبير شعراءنا العرب فرمقوا سماءه ، قال أبو تمام يصف غربته في مصر :

أخمسة أعوام مضت لمغيبه وشهران بل يومان ثكل على ثكل

وقال أبو الطيب المتنبي :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وقال شوقي في العصر الحديث يرثي المرحوم فوزي الغزي أحد أعلام دمشق :

جرح على جرح حنانك جلق حملت مايوهي الجبال ويرهق

٥ً ـ تشابه الاطراف : وهو أن ينظر المتكلم الى لفظة وقعت في آخر جملة من الفقرة في النثر أو آخر لفظة وقعت في آخر المصراع الأول في النظم فيبتدىء بها ... تأمل في تشابه أطراف هذه الجمل المتلاحقة « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنه كوكب دري » ومن أمثلة الشعر في قول ليلى الأخيلية في الحجاج بن يوسف :

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة

تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الـداء العضال الذي بها
غـلام إذا هـز القنـاة سقاهـا

سقاهـا فرواهـا بشـرب سجـالِهِ
دمـاء رجـال يحلبـون حراهـا

وجميل قول أبي تمام :

هوى كـان خلساً إن من أبرد الهـوى
هوى جلت في افنائـه وهو خامـل

أبا جعفـر إنّ الجهـالة أمهـا
ولود وأم العلـم جـذاء حـائل

فكـن هضبـة نأوى اليهـا وحـرة
يعـدد عنهـا الاعوجي المناقـل

فإن الفـتى في كـل ضـرب مناسب
منـاسب روحـانية من يشاكـل

وينسب لأبي نواس قوله :

خزيمة خير بني حازم ... وحازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما ... مثل تميم في بني آدم
إلا البهاليل بني هاشم ... وهم سيوف لبني هاشم

وقد يكون تشابه الاطراف معنوياً وهو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى لا في اللفظ كقول محمد بن عبيد الله السلامي :

بدائع الحسن فيه مفترقه وأعين الناس فيه متفقة
سهام ألحاظه مفوقه فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق عارضه هذا مليح وحق من خلقه

فالرشق في قافية البيت الثاني يناسب السهام في أوله .

وجميل قول السري الرفاء :

ابريقنا عاكف على قدح كأنه الأم ترفع الولدا
أو عابد من بني المجوس إذا توهم الكأس شعلة سجدا

فالسجود مناسب للعابد في أول البيت .

وبلغ ابن الرومي الغاية في وصف مغنية :

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق فيّ جارحة إلا تمنيت أنها أذن

فالأذن تناسب ذكر الغناء في أول البيت .

استدراك على بعض النقاد :

هذا وقد خفيت على بعض علماء البيان أسرار التشابه في الاطراف

فجزم بأنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج الى تمام فينبغي أن تعاد بعينها في آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيباً ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي فقال : إنأ با تمام أخطأ في قوله :

بسط الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت كان ينبغي أن يعيد ذكره أيضاً في عجزه أو كان ذكر الآمال في صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب في قوله :

اني لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وان حرصت غرور

فإنه قال « إني لأعلم واللبيب خبير » وكان ينبغي أن يقول : الي لأعلم واللبيب عليم ليكون ذلك تقابلا صحيحاً .

هذا ما ذكره الناقد وليس بشيء لأن المعتمد عليه في هذا الصدد أنه إذاكانت اللفظة في معنى أختها جاز .

٦ ــ المجاز العقلي : في قوله « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » فقد أسند الى القلوب والأبصار التقلب والاضطراب من الهول والفزع .

وفي قوله « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » فن الغلو وهو الافراط في وصف الشيء المستحيل عقلاً وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد أن يقربه الناظم الى القبول بأداةالتقريب، إلا أن يكون الغلو فيمدح النبي صلى الله عليه وسلم فلاغلو حينئذويجب على الناظم أن يسبكه في قالب التخيلات التي تدعو العقل الى قبولها في أول وهلة كالآية الكريمة فإن إضاءة الزيت من غير مس النار مستحيلة عقلاً ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولاً .

والقسم الثاني وهو الغلو غير المقبول ، كقول ابي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

اللغة :

(كسراب) : السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها ويضرب به المثل في الكذب والخداع يقال : هو أخدع من السراب ، وسمي سراباً لأنه يتسرب أي يجري كالماء ، يقال سرب الفحل أي مضى وسار ويسمى الآل أيضاً ولا يكون إلا في البرية والحر فيغتر به الظمآن .

(بقيعة) : القيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض وفي الصحاح : « والقاع المستوي من الأرض والجمع أقواع وقيعان فصارت الواو ياء لكسر ما قبلها والقيعة مثل القاع وهو أيضاً من الواوي وبعضهم يقول هو جمع » وقال الهروي : « والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار » وفي الأساس : « هو كسراب

بقيعة وبقاع ونزلوا بسراب قيعان ولهم قاعة واسعة وهي عرضة الدار وأهل مكة يسمون سفل الدار القاعة ويقولون : فلان قعد في العِـلِّيـة ووضع قماشه في القاعة ، وقال :

سائل مجاور جَرْم هل جنيتُ لهم
حرباً تُفرِّق بين الجيرة الخُلُط

وهل تركت نساء الحي ضاحية
في قاعة الدار يستوقدن بالغبط

وفي القاموس والتاج ما يفهم منه أن القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ويجمع على أقواع وأقوُع وقيع وقيعان وقيعة .

(لجي) : اللجي : العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر هكذا قال الزمخشري ، وقال غيره منسوب الى اللجة بالتاء وهي أيضاً معظمه .

الاعراب :

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) كلام مستأنف مسوق لبيان حال عمل من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق بعد أن بين حال المؤمنين بضرب مثل لهم وهو « مثل نوره كمشكاة » . والذين مبتدأ أول وجملة كفروا صلة الموصول وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثاني والمبتدأ الثاني وخبره خبر الاول وجملة يحسبه الظمآن صفة لسراب وماء مفعول به

ثان ليحسبه وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاءه في محل جر باضافة الظرف اليها وجملة لم يجده لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وشيئاً في موضع المصدر أي لم يجده وجداناً وقيل شيئاً هنا بمعنى ما قدّره وظنّه فهي مفعول به ثان ليجده وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة . (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) الواو حرف عطف ووجد فعل ماض وفاعل مستتر ولفظ الجلالة مفعول به وعنده متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لوجد أي كائناً عند السراب أو العمل ، فوفاه الفاء عاطفة ووفاه فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وحسابه مفعول به ثان أي جازاه عليه في الدنيا والله مبتدأ وسريع الحساب خبر . (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب) أو حرف عطف قيل هي للتقسيم أو للتخيير أي أن عمل الكافر قسمان : قسم كالسراب وهو العمل الصالح وقسم كالظلمات وهو العمل السيىء أو أن عمل الكافر لاغ لامنفعة له كالسراب ولكونه خالياً من نور الحق كالظلمات المتراكبة والحنادس المدلهمة . قال الزجاج : « أعلم الله سبحانه أن أعمال الكفار كما أنها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات فهي أيضاً تشبه الظلمات ، وانها ان مثلت بما يوجد فمثلها كمثل السراب ، وان مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف » وقال أيضاً « إن شئت مثل بالسراب وان شئت مثل بهذه الظلمات ، فأو للإباحة » والجار والمجرور نسق على كسراب على حذف مضاف تقديره أو كذي ظلمات ويدل على هذا المضاف قوله « إذا أخرج يده لم يكد يراها » أو على حذف مضافين تقديرهما كأعمال ذي ظلمات ، وفي بحر صفة لظلمات ولجي صفة لبحر وجملة يغشاه موج صفة ثانية لبحر وموج فاعل ومن فوقه خبر مقدم وموج مبتدأ مؤخر والجملة صفة لموج الأولى وجملة من فوقه سحاب

صفة لموج الثانية . (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) ظلمات خبر لمبتدأ محذوف أي هذه ظلمات والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها وبعضها مبتدأ وفوق بعض الظرف متعلق بمحذوف خبر والجملة صفة لظلمات وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة أخرج في محل جر باضافة الظرف اليها وفاعل أخرج ضمير الواقع في البحر المرتطم فيه ويده مفعول به ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكد فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها ضمير مستتر تقديره هو وجملة يراها خبر يكد وجملة لم يكد يراها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم. (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ولم حرف نفي وقلب وجزم ويجعل فعل الشرط والله فاعل وله مفعول به ثان ونوراً مفعول به أول ليجعل والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونور مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء محلاً والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ .

البلاغـة :

وقد انطوت هذه الآية على أفانين من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ ـ التشبيه المرسل : فقد أخرج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة ، ولو قيل يحسبه الرائي ماء لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وأكثر تعلق قلب به وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة الألفاظ وصحة الدلالة وصدق التمثيل .

٢ ـ التشبيه التمثيلي : وقولـه « ووجد الله عنـده » تشبيه تمثيلي أي وجد عقابه وزبانية عذابه ، ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر ويعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته الى الماء فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه فإذا جاءه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيئاً .

٣ ـ العطف على محذوف : في قولـه تعالى « ووجد الله عنده » عطف على مقدر وليست الجملة معطوفة على « لم يجده شيئاً » بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً ، كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا حكم الله وقضاءه لهم بالمرصاد .

٤ ـ المبالغة في التشبيه : وهذا في قولـه : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » وقد اختلف الناس في تأويل هذا الكلام ويكاد الاجماع ينعقد على أن المعنى أنه لايرى يده فعلى هذا في التقدير ثلاثة أوجـه : أحدها أن التقدير لم يرها ولم يكد وهذا غير واضح لأنه نفي للرؤية ثم اثبات لها ، ووجه ثان وهو أن كاد زائدة ولا مساغ له في القرآن فالوجه إذن انه لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها ، ومثله قول ذي الرمة :

إذا غيّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي لم يقرب من البراح ، والنأي : البعـد ، ويقال رس وأرس إذا لزم والرسيس بقية المرض ، ويبرح يذهب ، وروي أن ذا الرمة لما قدم الكوفة اعترض عليه ابن شبرمة في ذلك بأنه يدل على زوال رسيس الهوى فغيره بقوله لم أجد وقال ابن عتبة حدثت أبي بذلك فقال : أخطأ ابن شبرمة وأخطأ ذو الرمة في تغييره وانما هو كقوله تعالى : « لم يكد يراها » وبعد البيت :

فـلا القرب يدنو مـن هواها ملالـة
ولا حبهـا إن تنزح الـدار ينـزح

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ
صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ
(٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ (٤٣) يُقَلِّبُ
ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (٤٤)

اللغـــة :

(الطير) : قال أبو عبيدة وقطرب : الطير يقع على الواحد والجمع وقال ابن الانباري : الطـير : جماعة وتأنيثها أكثر من التــذكير وفي المصباح : « الطائر على صيغة اسم الفاعل من طار يطير طيرانا وهو له في الجو كمشي الحيوان في الأرض ويعدى بالهمزة والتضيعف فيقال : طـيّرته وأطرته وجمع الطائر طير مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار » •

(صافات) : باسطات أجنحتهن في الهواء •

(يزجي) : يسوق وفي المختار : « زجى الشيء تزجية دفعه برفق وتزجّى بكذا اكتفى به وأزجى الإبل ساقهـا والمزجى الشيء القليل وبضاعة مزجاة قليلة والريـح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولـدها تسوقه » وفي القاموس وشرحه : « زجـا يزجو زجواً وزجّى تزجية وأزجى إزجاء وازدجاه ساقه ودفعه برفق يقال : كيف تزجي أيامك أي كيف تدفعها وزجّى فلان حاجتي أي سهّل تحصيلها وأزجى الأمر آخره وأزجى الدرهم روجه » ومنه قول النابغة :

إني أتيتــك من أهــلي ومن وطــني
أزجي حشاشــة نفس ما بهـا رمق

(ركاماً) : الركـام بضم الراء المتراكم بعضـه فوق بعض وفي المختار : « ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه عـلى بعض وبابه نصر وارتكم الشيء وتراكم : اجتمـع والركام الرمـل المتراكم والسحاب ونحوه » •

(الودق) : المطر قيل هو خاص بالضعيف وقيل هو المطر ضعيفاً كان أو شديداً وهو في الاصل مصدر يقال ودق السحاب يدق من باب وعد .

(سنا) : في المختار : «السنا مقصور ضوء البرق والسنا أيضاً هو نبت يتداوى به والسناء من الرفعة ممدود والشيء الرفيع وأسناه رفعه وسناه تسنية فتحه وسهله » .

الاعراب :

(ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض) كلام مستأنف مسوق لتقرير هذه الحقيقة ، فالهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر لأن الرؤية هنا قلبية لأن تسبيح المسبحين لا تتعلق به رؤية البصر أي قد علمت علماً يشبه المشاهدة في اليقين ، وجملة يسبح خبر وله متعلقان بيسبح ومن فاعل يسبح وفي السموات والأرض صلة من . (والطير صافات كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) الواو للعطف والطير عطف على من وصافات حال ومفعول صافات محذوف أي باسطات أجنحتها ، وكل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم وجملة قد علم خبر كل وفاعل علم يعود على كل أو على الله ، ويقول أبو البقاء إن عودته على « كل » أرجح لأن القراءة برفع كل على الابتداء ، فيرجع ضمير الفاعل اليه ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الأولى نصب كل لأن الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من سببها فيصير كقولك زيداً ضرب

عمر وغلامه فتنصب زيداً بفعل دل عليه ما بعده وهو أقوى من الرفع والآخر جائز » وصلاته مفعول به وتسبيحه عطف على صلاته والله مبتدأ وعليم خبر وبما متعلقان بعليم وجملة يفعلون صلة ما .
(ولله ملك السموات والأرض والى الله المصير) الواو استئنافية ولله خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر والى الله خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً) الهمزة للاستفهام التقريري وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تر وقد تقدم اعراب نظيره ، ثم حرف عطف ويؤلف عطف على يزجي وبينه ظرف متعلق بيؤلف ودخلت بين على مفرد وهي إنما تدخل على المثنى فما فوقه لأنه إما أن يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير على حكمه وإما أن يراد أنه على حذف مضاف أي بين قطعه فإن كل قطعة سحابة ، ثم حرف عطف ويجعله فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وركاماً مفعول به ثان . (فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) الفاء عاطفة وترى الودق فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به وجملة يخرج حال لأن الرؤية هنا بصرية ومن خلاله متعلقان بيخرج أي من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبل وجبال ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد تقدم أعرابها ونعيده هنا للتقوية فمن الأولى ابتدائية متعلقة بينزل وكذلك الثانية فهي بدل بإعادة العامل وفيها صفة لجبال ومن برد للتبعيض وهي ومجرورها في موضع مفعول الانزال وقيل هي للبيان أي فتكون حالاً وتكون من جبال هي في موضع مفعول الانزال ، وأجمل بعضهم اعراب الآية فقال : والحاصل أن من في من السماء لابتداء الغاية بلا خلاف ومن في من جبال فيها ثلاثة أوجه :

الاول : لابتداء الغايـة فتكون هي ومجرورهـا بدلا من الاولى بإعادة الخافض بدل اشتمال •

الثاني : انها للتبعيض فتكون على هذا هي ومجرورها في محل نصب على أنها مفعول الانزال كأنه قال وينزل بعض جبال •

الثالث : انها زائدة أي ينزل من السماء جبالاً •

وأما من في من برد ففيها أربعة أوجه :

الثلاثة المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس فيكون التقدير على هذا الوجه : وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد •

وقال الزجاج : « ومعنى الآية وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول : هذا خاتم في يدي من حديد أي خاتم حديد في يدي لأنك إذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم حديد كان المعنى واحداً » وعلى هذا يكون من برد في موضع جر صفة لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون مفعول ينزل من جبال ويلزم من كون الجبال برداً أن يكون المنزل برداً •

وذكر أبو البقـاء أن التقدير شيئاً من جبـال فحذف الموصوف واكتفى بالصفة •

(فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) الفاء عاطفة ويصيب فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود عـلى الله وبه متعلقان بيصيب ومن مفعول به وجملة يشاء صلة الموصول ويصرفه عمن يشاء عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لها • (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب

الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار) الجملة صفة لبرد ويكاد فعل مضارع من أفعال المقاربة وسنا برقه اسمها وجملة يذهب بالابصار خبرها وجملة يقلب تفسير لما قبلها فلا محل لها والله فاعل يقلب والليل مفعول به والنهار عطف على الليل وان حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وعبرة اسمها المؤخر ولأولي الابصار صفة لعبرة والأبصار بمعنى البصائر •

البلاغــة :

١ ـ فن العنوان :

في قوله « ألم تر أن الله يزجي سحاباً » الآية فن انفرد به القليل من علمـاء البيان وهو فن العنوان ، وعرفوه بأنه أن يأخـذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو عتاب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة وقصص سالفـة ، ومنه نوع عظيم جداً وهو ما يكون عنواناً للعلـوم وذلك أن تذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلـوم ومداخل لها ، والآية التي نحن بصـددها فيها عنوان العلـم المعروف بالآثار العلوية والجغرافيا الرياضية وعلم الفلك ، ومن أمثلته في الشعر قصيدة أبي فراس الحمداني :

خليـلي ما أعـددتما لمتيم ... أسير لدى الأعداء جافي المراقد
فريد عن الأحباب لكن دموعه ... مثان على الخدين غـير فرائد
جمعت سيوف الهند من كل وجهة ... وأعددت للأعـداء كل مجالد
إذا كان غـير الله للمرء عدةً ... أتته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف جذيمة　　وكان يراها عــدة للشدائد
وجرت منايــا مالك بن نويرة　　حليلته الحسناء يا أم خالــد
وأردى ذؤابا في بيوت عتيبة　　بنوه وأهلوه بشدو القصائـد

فهذه القصص التي استطرد إليها أبو فراس تكميلاً لقصده وتدعيماً لرأيه مشهورة ومعروفه ، ويمكن الرجوع اليها في مظانها بكل سهولة .

وقال الفرزدق لجرير :

فهــــل أنت إن ماتت أتانك راكــب
إلى آل بسطـــام بن قيس فخــاطب
وإني لأخشـــى إن خطيــت إليهــم
عليك الــذي لاقى يســـار الكواعب

ومن حديث يسار أنه كان عبداً أسود يرعى لأهله إبلاً وكان معه عبد يراعيه وكان لمولى يسار بنت فمرت يوماً بإبله وهي ترعى في روض معشب فجاء يسار بعلبة لبن وسقاها وكان أفحج الرجلـين فنظرت الى فحجه فتبسمت ثم شربت وأخذت مضجعها فانطلق فرحاً حتى أتى العبد الراعي وقصّ عليه القصة وذكر فرحه بتبسمها فقال صاحبه يا يسار ، كل من لحم الحوار ، واشرب لبن العشار ، وإياك وبنات الأحرار فقال له : دحكت لي دحكة لا أخيبها ، يريد ضحكت لي ضحكة ، ثم قام الى علبة فملأها وأتى الى ابنــة مولاه فنبهها فشربت ثم اضطجعت فجلس العبد حذاءهافقالت : ماجاء بك؟فقال : ماخفي عنك ماجاء بي فقالت :فأي شيء هو ؟ قال : دحكك الذي دحكت إلي فقالت حياك الله ثم قامت

الى سفط لها فأخرجت منـه بخوراً ودهناً وعمدت الى موسى ودعت بمجمرة وقالت له : إن ريحك ريـح الابل وهـذا دهن طيب فوضعت البخور تحته وطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها بالموسى ثم أشمته الدهن فسلتت أنفه وأذنيه وتركته فصار مثلاً لكل جان على نفسه ومتعد طوره .

وزعيم هذا الباب أبو تمام فقـد كان من أهـم مميزات شعره استخدامه الحوادث القديمة والحديثة في أماديحه خاصة كقوله يمدح أبا دلف :

إذا افتخـرت يوماً تميـم بقوسهـا
وزادت عـلى ما وطّدت من منـاقب

فأنتـم بذي قـار أمالت سيوفكـم
عروش الـذين استرهنوا قوس حاجب

فقد ارتقى بمديحه الى ذكر قصة قوس حاجب ، وخلاصتها أن حاجب بن زرارة سيد بني تميم أتى الى كسرى في سنة جدب يستميره فقال له كسرى : وما ترهنني ؟ قال قوسي ، فاستعظمه وقدم له ما طلب ، فضرب بقوس حاجب المثل عند العرب ثم كانت وقعة ذي قار وانتصر العرب عـلى العجم لأول مرة وحرروا أرضهـم من استعمارهم وكان الفضل يعود الى بني شيبان الذين يمت اليهم الممدوح بالنسبة ، فقال أبو تمام منوهاً بذكر هذه الحادثة .

ويطول بنا الحديث إن تقصينا ما ورد في هذا الباب فحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد .

٢ ـ المبالغة أو الافراط في الصنعة :

وفي قوله « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » فن سماه ابن المعتز الافراط في الصنعة ، وسماه قدامة المبالغة ، وسماه من بعدهما التبليغ ، والناس على تسمية قدامة ، وعرفه بقوله : « هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده » وقد قدمنا في مكان آخر من هذا الكتاب ضروب المبالغات في الكتاب العزيز فلا حاجة الى الإعادة ، ونقف عند الضرب الخامس الذي منه هذه الآية وهو ما جرى مجرى الحقيقة وهو قسمان : قسم كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كهذه الآية فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها الى الحقيقة فانقلبت من الامتناع الى الامكان ، وقسم أتى بصيغة اسم التفضيل وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله تعالى « أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً » وقد تقدم القول فيه.

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ

يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(والله خلق كل دابة من ماء) كلام مستأنف مسوق لبيان أصناف الخلق ، والله مبتدأ وجملة خلق خبر وكل دابة مفعول به ومن ماء جار ومجرور متعلقان بخلق أي نطفة بحسب الأغلب . (فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين) الفاء تفريعية ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يمشي صلة الموصول وعلى بطنه متعلقان بيمشي ومنهم من يمشي على رجلين عطف على ما سبقه . (ومنهم من يمشي على أربع) عطف ، وسيأتي سر ذكر من لغير العاقل في باب البلاغة . (يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) يخلق الله ما يشاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة يشاء صلة وإن الله ان واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر إن . (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) كلام مستأنف مسوق لذكر آياته سبحانه على طريق الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة ، واللام جواب

للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأنزلنا فعل وفاعل وآيات مفعول به ومبينات صفة والله مبتـدأ وجملة يهـدي خبره ومن مفعول به وجملة يشاء صلة والى صراط متعلقان بيهدي ومستقيم صفة • (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) كلام مستأنف مسوق للشـروع في بيان حال المنافقين ، ويقولون فعل مضارع مرفوع وفاعل وجملة آمنا مقول القول وآمنا فعل وفاعل وبالله متعلقان بآمنا وبالرسول عطف على بالله وأطعنا عطف عـلى آمنا • (ثم يتولى فريق منهـم من بعـد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ثم حرف عطف ويتولى فعل مضارع مرفوع وفريق فاعـل ومنهم صفة ومن بعد ذلك حال ، والاشارة الى القول المذكور ، والواو حالية وما نافية حجازية وأولئك اسم اشارة في محل رفع اسم ما والباء حرف جر زائد والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما والجملة حالية • (وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ودعوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الله متعلقان بدعوا ورسوله عطف على الله والمراد رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ، واللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد لام التعليـل والجار والمجرور متعلقان بدعوا وبينهم ظرف متعلق بيحكم • (إذا فريق منهم معرضون) إذا فجائية وقامت مقام الفاء في ربط الجواب بشرطه وهو إذا الأولى ، وفريق مبتدأ ومنهم صفة وهي التي سوغت الابتـداء به ومعرضون خبر فريق • (وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) الواو عاطفة وإن شرطية ويكن فعل الشرط ولهم خبر يكن المقدم والحق اسمها المؤخر ويأتوا جواب الشرط واليه متعلقـان بيأتوا ويجوز أن يتعلق

بمذعنين ، قال الزمخشري : « وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورّون عن المحاكمة اليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم » ومذعنين حال ، قال الزجاج : الاذعان الاسراع مع الطاعة وفي القاموس: « أذعن له خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة » •

البلاغـة :

١ ـ صحة التفسير :

في قولـه تعالى « والله خلق كل دابة » الآية : فيها فن بديع من فنون البلاغة سماه علماؤها « صحة التفسير » وسماه ابن الاثير في المثل السائر « التناسب بين المعاني » وحدّه أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه ، إما أن يكون مجملاً يحتاج الى تفصيل أو موجهاً يفتقر الى توجيـه أو محتمـلاً يحتاج المراد منه الى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ووقوع التفسير على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط أو بعد ما فيه معنى الشرط وطوراً بعد الجار والمجرور وآونة بعد المبتدأ الذي التفسير خبره • والآية التي نحن بصددها مما وقع بعد الجار والمجرور فقد ذُكر سبحانه الجنس الأعلى مقدماً له حيث قال : « كل دابة » فاستغرق أجناس كل ما دبّ ودرج ثم فسر هـذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسطـة والأنواع حيث قال « فمنهـم » و « ومنهم » مراعياً الترتيب إذ قدم ما يمشي بغير آلة لكونه الآية سيقت

لبيان القدرة والتمدح بها وتعجب السامعين منها ، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي بآلة فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه ، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل فأتى بما يمشي على رجلين وهو الانسان والطائر لتمام خلق الانسان وكمال حسن صورته وهيئته وجمال تقويمه المقتضي تخصيصه بالعقل ولما في الطائر من عجب الطيران في الهواء الدال على غاية الخفة ونهاية اللطف مع ما فيه من كثافة ، وثلث بما يمشي على أربع لأنه أحسن الحيوان البهيم وأقواه تغليباً على ما يمشي على أكثر من أربع من الحشرات فاستوعبت جميع الاقسام ، وأحسن الترتيب بالاضافة الى الترتيب والاشارة والارداف وحسن النسق .

وعرفه صاحب العمدة بأنه أن يستوفي الشاعر شرح ما بدأ به مجملاً ، وقلما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد ومثل له ببيتين للفرزدق وهما :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم
طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

لألفيت منهم معطياً ومطاعناً
وراءك شزراً بالوشيح المقوم

واشترط صاحب العمدة سلامته من سوء التضمين قال : ومن جيد التفسير قول حاتم الطائي ويروى لعتيبة بن مرداس :

متى ما يجيء يوماً الى المـــال وارثي

يجـد جمع كف غـــير ملأى ولا صفر

يجـــد فرساً مثـــل العنان وصارمـاً

حسامـاً إذا ما هزّ لـــم يرض بالهبر

وأسمــــر خطيـــاً كـــأن كعوبـــه

نوى القسب قد أربى ذراعاً عـــلى العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من التضمين لأنه لم يعلق كلامه بـ « لو » كما فعل الفرزدق ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأً يرجو تراثي وإن ما ... يصـير له منه غـــداً لقليل

ومالي مال غـير درع ومغفر ... وأبيض من ماء الحديد صقيل

وأسمر خطيّ القنـاة مثقّف ... وأجرد عريان السراة طويـــل

هكذا أنشدوه بالاقواء ويجوز أن يرفع عـــلى القطع والاضمار كأنه قال : هو صقيل ، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد يعني سيفه • وقال ذو الرمة في التفسير :

وليـــل كجلبـاب العروس ادّرعتـــه

بأربعـــة والشخص في العين واحـــد

أحـــمّ عــــلا فيّ وأبيض صـــارم

وأعيس مهـــري وأروع ماجـــد

ففسر الأربعة ما هي ؟ ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار كأنه قيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال كذا وكذا وكذا .

ومضى صاحب العمـدة يورد نماذج من التفسير إلى أن قال : « ومن التفسير ما يفسر فيه الأكثر بالأقل وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح نحو قول أبي الطيب :

من مبلـــغ الأعـــراب أني بعـــدها

جالست رسطـــاليس والاسكنـــدرا

ومللت نحـــر عشارهـــا فأضافـــني

من ينحـــر البـــدرَ النضـــار لمن قرى

وسمعـــت بطيلمـــوس دارس كتبـــه

متملكـــاً متبـــدياً متحضـــراً

ولقيت كـــل الفاضلـــين كأنمـــا

رد الإلـــه نفوسهـــم والأعصـــرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً

وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

فقوله : « نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً » البيت تفسير مليح قليل النظير في أشعار الناس » هذا وقال الواحدي في شرح البيت الاخير : « جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم مثل الحساب يذكر تفاصيله ثم تجمع تلك التفاصيل فيكتب في آخر الحساب فذلك كذا وكذا فيجمع في الجملة ما ذكر في التفاصيل ، كذلك أنت جمع فيك ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة » .

وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :

إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا

في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير ، ومن التفسير الحلو قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين :

في فمها مسك ومشمولة صرف ومنظوم من الدّرِ

فالمسك للنكهة والخمر للر يقة واللؤلؤ للثغر

وجميل قول ابن هانىء الاندلسي :

المدنفات من البرية كلها جسمي وطرف بابليّ أحور

والمشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

٢ ـ التنكير :

ونكر الماء في قوله « من ماء » وعرفه في قوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي » لأن المقصد في الآية هنا اظهار أن شيئاً واحداً تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفاصيلها في آية النور والرعد ، والمقصد في آية « اقترب » أنه خلق الاشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة .

٣ ـ الاستعارة :

الاستعارة في قوله « فمنهم من يمشي على بطنه » فقد سمى الزحف على البطن مشياً على سبيل الاستعارة المكنية كما قالوا في الأمر المستمر : قد مشى هذا الأمر ، ويقال فلان لا يتمشى له أمر .

٤ ـ التغليب :

وفي قوله « من يمشي على بطنه ومن يمشي على أربع » تغلبب للعاقل على غيره وقد مرت له نظائر كثيرة لأنه لما اختلط غير العاقل بالعاقل في الفصل بمن وكل دابة كان التعبير بمن أولى لتوافق اللفظ .

وقيل أوقع « من » على غير العاقل لما اختلط بالعاقل ويحتمل أن تكون من نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير فمنهم نوع يمشي على بطنه ونوع يمشي على رجلين ونوع يمشي على أربع على حد : ومن الناس من يعبد الله على حرف ، قال ابن هشام : ويجوز في من أن تكون نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير ومن الناس ناس يعبدون الله .

أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ * وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ
قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

الاعراب :

(أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا) كلام مستأنف مسوق لتقسيم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله . والهمزة للاستفهام التقريري ويبالغ به تارة في الذم وتارة في المدح وهو هنا من النوع الأول ، وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر وأم حرف عطف بمعنى بل فهي منقطعة وارتابوا فعل وفاعل . (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) أم يخافون عطف على ما تقدم وأن يحيف في تأويل مصدر مفعول به يخافون والحيف الميل والجور في القضاء وبل حرف اضراب وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والظالمون خبر هم والجملة خبر المبتدأ الأول أو خبر أولئك . (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا

الى الله ورسوله ليحكم بينهم) إنما كافة ومكفوفة وكان فعل ماض ناقص وقول خبر كان المقدم والمؤمنين مضاف إليه وانما ترجح نصبه لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل أوغلهما في التعريف ولكن سيبويه لم يفرق بينهما وسيأتي مزيد بحث في باب الفوائد ، واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعوا في محل جر باضافة الظرف اليها والواو نائب فاعل والى الله متعلقان بدعوا ورسوله عطف على الله واللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وبينهم ظرف متعلق بيحكم وجعل الزمخشري فاعل يحكم عائداً الى المصدر لأن معناه ليفعل الحكم بينهم • (أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) أن وما حيزها اسم كان وجملة سمعنا مقول القول وأطعنا عطف على سمعنا والواو حرف عطف وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والمفلحون خبر هم أو خبر أولئك وقد تقدم قريباً • (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ورسوله عطف على الله ويتقه عطف على يطع بسكون الهاء وكسرها ومع اشباع وبدونه ، والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك هم الفائزون تقدم فيه القول كثيراً • (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم) كلام مستأنف لحكاية قول المنافقين لرسول الله أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا • وأقسموا فعل ماض والواو فاعل وبالله متعلقان بأقسموا وجهد أيمانهم مفعول مطلق ، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة ، أو حال تقديره مجتهدين ، وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما واحداً ، ولئن اللام موطئة للقسم وان شرطية أمرتهم فعل وفاعل ومفعول به • (ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير

بما تعملون) اللام واقعة في جواب القسم ويخرجن فعل مضارع مرفوع وحذفت النون لتوالي الأمثال والواو فاعل والنون للتوكيد ولم يبن الفعل لأن النون لم تباشره ، وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولا ناهية وتقسموا فعل مضارع مجزوم بلا وطاعة خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمركم أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ، ويجوز أن يعرب مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معروفة أولى بكم وأمثل من هذه الأيمان الكاذبة ، ومعروفة صفة وجملة إن الله تعليلية لما تقدم وان واسمها وخبير خبر وبما متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة •

البلاغة :

١ ـ الاستعارة :

جهد أيمانكم : لفظ مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها ، فقد استعاره للايمان وأصله أقسم بالله جهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعاً موضعه مضافاً الى المفعول كضرب الرقاب واذا جعلته حالاً جعلته مؤولاً باسم الفاعل أي جاهدين •

٢ ـ صحة التقسيم :

وفي قوله تعالى : « أفي قلوبهم مرض » الآية فن يقال له صحة التقسيم وقد تقدمت الاشارة اليه فإنها لم تبق قسماً يقع في القلوب من الصوارف عن القبول إلا جاءت به ، ألا ترى أنه تعالى بعد قوله « أفي قلوبهم مرض » ذكر الريبة لأنه لا بد أن يكون الصارف عن الإجابة

فحكم الله ورسوله إما إبطان الكفر وإظهار الاسلام وهو المرض ، أو التشكك والتردد والتذبذب في حكم الله هل هو جار على العدل أو على غيره وذلك هو الريبة ، أو يكون الصارف خوف الحيف الذي لا يشعر به رجاء الانصاف فلم يبق قسم من الصوارف حتى ذكر فيها ثم ختمها سبحانه بقوله « بل أولئك هم الظالمون » فيكون مرشحاً للايغال الذي جاء في فاصلة الآية فحقق الظلم وصفالهم في الرد عليهم ليبقي ثبوته فيهم وجوده في حكمه سبحانه فحصل من ذلك الافتنان وهو جمع الكلام بين فنيّ الفخر والهجاء فإن في وصفهم بالظلم وصف ذاته بالعدل ووصف نبيه بالعدل أيضاً فاذا أضفت الى ذلك أن الكلام قد أفرغ في قالب من النزاهة والاحتشام واشتمل الهجاء المرير على مالا يوهم الهجاء وهو من أمضى الهجاء وأقذعه فقد أضفت الى ما تقدم فن النزاهة وهو فن مشهور من فنون البلاغة عبر عنه أبو عمرو بن العلاء بقوله : « خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها » وابن بسام في قوله في الذخيرة : « الهجاء ينقسم الى قسمين : قسم يسمونه هجاء الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً أو هجواً مستبشعاً والثاني السباب الذي أحدثه جرير وطبقته » فقد اجتمع في الآية حسن التقسيم والايغال والافتنان والنزاهة .

ومما ورد من الهجاء الموجع وليس فيه لفظ فاحش قول أبي تمام :

بني لهيعة ما بالي وبالكم   وفي البلاد مناديح ومضطرب
لحاجة لي فيكم ليس يشبهها   إلا لجاجتكم في أنكم عرب

الفوائد :

توسط الخبر بين الافعال الناقصة وبين أسمائهن جائز ، قال ابن

مالك : « وفي جميعها توسط الخبر أجز » قال الله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » فحقاً خبر كان مقدم ونصر المؤمنين اسمها المؤخر ، ويؤخذ من كلام المغني أن رفع الخبر ضعيف كضعف الاخبار بالضمير عما دونه في التعريف إلا ان يمنع مانع من تقدم الخبر كحصر الخبر نحو « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أو كخفاء اعرابهما نحو كان موسى فتاك ، وقد يكون التوسط واجباً نحو كان في الدار ساكنها فتحصل ثلاثة أقسام : قسم يجوز وقسم يمتنع وقسم يجب ، وسكتوا عن تقديم أسمائهن لعدم تصوره ، إذ متى تقدم الاسم صار مبتدأ وتحمل الناسخ ضميره فلا يقال ان الاسم تقدم .

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كلام مستأنف مسوق لخطاب

المأمورين بالطاعة من جهته تعالى • وجملة أطيعوا مقول القول ولفظ الجلالة مفعول به وأطيعوا الرسول عطف على أطيعوا الله • (فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) الفاء عاطفة وإن شرطية وتولوا فعل الشرط وهو مضارع حذفت إحدى تاءيه ، فإنما الفاء رابطة للجواب والجواب محذوف أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فاعلموا أنما عليه السلام ما حمل أي ما أمر به من التبليغ ، وإنما كافة ومكفوفة وعليه خبر مقدم وما حمل مبتدأ مؤخر وجملة حمل صلة وعليكم ما حملتم عطف على ما تقدم • (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) الواو عاطفة وان شرطية وتطيعوه فعل الشرط وهو فعل وفاعل ومفعول به وتهتدوا جواب الشرط والواو حالية أو استئنافية وما نافية وعلى الرسول خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفة • (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) كلام مستأنف مسوق لتقرير المصير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات والتمكين لهم في الارض • ووعد الله الذين فعل وفاعل ومفعول به وجملة آمنوا صلة ومنكم حال وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ومفعول وعد الثاني محذوف تقديره الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم عليه ، واللام جواب قسم مضمر أي أقسم ليستخلفنهم وفي الارض متعلقان بيستخلفنهم ولك أن تنزل وعد منزلة أقسم فتلقى بما يتلقى به القسم • (كما استخلف الذين من قبلهم) الكاف نعت لمصدر محذوف أي استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم ، والذين مفعول استخلف ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الذين • (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وليمكنن عطف على ليستخلفنهم فهو مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ولهم متعلقان بيمكنن ودينهم مفعول به والذي صفة وجملة ارتضى صلة

والعائد محذوف أي ارتضاه ولهم متعلقان بارتضى . (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وليبدلنهم عطف على ما تقدم والهاء مفعول به أول ومن بعد خوفهم حال وأمناً مفعول به ثان . (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) جملة يعبدونني استئنافية على الارجح فلا محل لها وكأنها جواب لسؤال مقدر أي ما بالهم فقيل يعبدونني واختار بعض المعربين أن تكون حالاً من مفعول وعد أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحلها النصب أو حال من مفعول ليستخلفنهم . وجملة لا يشركون بي شيئاً بدل منها ولك أن تجعلها حالاً من فاعل يعبدونني أي يعبدونني موحدين وهو جيد ولك أن تجعلها استئنافية كسابقتها ، وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وقد تقدم مثله كثيراً ، ومن كفر الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وكفر فعل ماض فعل الشرط وبعد ذلك متعلق بكفر ، فأولئك هم الفاسقون الجملة جواب الشرط وقد تقدم اعراب نظيرتها .

الفوائد :

ذكر التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل : ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لاتغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة ، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه

وسلم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً ثم تصير بزّيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها » ومعنى بزيزى قال في الصحاح بزه يبزه بزّاً : سلبه والاسم البزيزى مثل الخصّيصى .

وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ
يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ
ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) كلام معطوف على وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول قال الزمخشري : « وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه » وذلك أن تعطفه على

محذوف يقتضيه السياق وتقديره فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الصلاة واعراب الجملة واضح كل الوضوح . (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير) لا ناهية وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والذين مفعول تحسبن الأول وجملة كفروا صلة ومعجزين مفعول تحسبن الثاني وفي الارض متعلقان بمحذوف حال ومتعلق معجزين محذوف أي لنا ، ومأواهم عطف على لا تحسبن الذين كفروا عطف خبر إنشاء على رأي بعضهم أو معطوف على مقدر تقديره بل هم مفهورون مدركون ومأواهم ولعله أولى لأنه يكون عطف خبر على خبر ، ومأواهم مبتدأ والنار خبره أو بالعكس ، ولبئس اللام موطئة للقسم وبئس فعل ماض جامد للذم والمصير فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي مصيرهم ، يعني النار . (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) جملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم الاستئذان وسيأتي في باب الفوائد المزيد منها ، واللام لام الأمر ويستأذنكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والكاف مفعول به والذين فاعل وجملة ملكت أيمانكم صلة . (والذين لم يلبغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر) والذين عطف على الذين وجملة لم يبلغوا الحلم صلة ومنكم حال وثلاث مرات نصب على الظرفية أو المفعولية المطلقة فان قدرت بمعنى ثلاثة أوقات فهي ظرف وان قدرت بمعنى ثلاثة استئذانات فهي مفعول مطلق ومن قبل صلاة الفجر بدل من ثلاث مرات ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هل من قبل ، وانما وجب الاستئذان في ذلك الوقت لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح الغلائل وما ينام فيه من الثياب . (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وحين عطف على محل من قبل صلاة الفجر وجملة تضعون مجرورة باضافة الظرف اليها وثيابكم مفعول

به ومن الظهيرة حال أي حين ذلك الوقت الذي هو الظهيرة أو بتضعون فتكون من بمعنى في • (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) ومن بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله وثلاث عورات خبر لمبتدأ محذوف مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أي هي أوقات ثلاث عورات وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها • والعورة : الخلل ، وفي الصحاح : أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب ، والأعور : المختل العين • (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض) جملة ليس عليكم الخ صفة لثلاث عورات والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وبعدهن ظرف متعلق بمحذوف صفة لجناح وطوافون خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم وعليكم متعلقان بطوافون لأنه صيغة مبالغة لاسم الفاعل وبعضكم مبتدأ وعلى بعض خبره أي طائف على بعض بدلالة طوافون ويجوز أن يعرب بدلاً من قوله طوافون ، ولأبي حيان كلام مطول فيه لا جدوى منه• (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) الكاف نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً ، ويبين الله لكم الآيات فعل مضارع وفاعل ومفعول به والله مبتدأ وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان •

الفوائد :

روي أن مدلج بن عمرو وكان غلاماً أنصارياً أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا

وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هـذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هـذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر ، وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت: إنا ندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل : دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص أو مشاقص فكأني أنظر اليه يختل الرجل ليطعنه ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ولفظه : « ان أعرابياً أتى باب النبي صلى الله عليه وسلم فألقم عينه خصاصة الباب فبصر به النبي صـلى الله عليه وسلم فتوخاه بحديدة أو عودة ليفقأ عينه فلما أن أبصره انقمع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما انك لو ثبت عليك لفقأت عينك » •

والمشقص : بكسر الميم بعد شين ساكنة وقاف مفتوحة هو سهم له نصل عريض وقيـل طويل ، وقيل هو النصل العريض نفسه وقيل الطويل •

ويختله : بكسر التاء أي يخدعه ويراوغه •

وخصاصة الباب : بفتح الخاء المعجمة وصادين مهملتين هي الثقب فيه والشقوق ومعناه أنه جعل الشق الذي في الباب محاذياً عينه •

توخاه : أي قصده بتشديد الخاء المعجمة •

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ
ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾
لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ
صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا
فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

اللغـــة :

(والقواعد) : جمع قاعد بغير تاء وفي المصباح : « وقعدت المرأة عن الحيض أسنت وانقطع حيضها فهي قاعد بغير تاء والجمع قواعـــد

وقعدت عن الزوج فهي لا تشتهيه » ولولا تخصيصهن بذلك لوجبت التاء نحو ضاربة وقاعدة من القعود المعروف .

(متبرجات) : مظهرات للزينة ، وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج محركة سعه العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا انه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها وإظهار محاسنها للرجال وفي المختار : « والتبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال » فالبرج يعطي معنى الاتساع يقال برج يبرج برجاً من باب تعب اتسع أمره في الأكل والشرب ونحوهما ، وبرجت عينه اتسعت بحيث يرى بياضها محدقاً بالسواد كله ، والبرج الركن والحصن والقصر وكل بناء مرتفع على شكل مستدير أو مربع ويكون منفرداً أو قسماً من بناية عظيمة وجمعه برج بضمتين وأبراج وأبرجة ، والبرج أيضاً أحد بروج السماء وهي اثنا عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، والبارجة سفينة كبيرة للقتال وتجمع على بوارج ، ومن أقوالهم : ما فلان إلا بارجة قد جمع فيه كل الشر أي انه شرير .

(صديقكم) الصديق يكون واحداً أو جمعاً وكذلك الخليط والقطين والعدو وهو الصادق في المودة والمخالّة ، قال الشاعر :

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... بأعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

(أشتاتاً) : جمع شت بمعنى التفرق وفي المختار : « أمرشت بالفتح أي متفرق ، تقول : شت الأمر يشت بالكسر من باب ضرب شتاً وشتاتاً بفتح الشين فيهما أي تفرق » ٠

الاعراب :

(وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) كلام مستأنف مسوق لتقرير حكم الأطفال الذين خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها بالبلوغ في وجوب الاستئذان واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة بلغ الأطفال مجرورة باضافة إذا اليها ومنكم حال والحلم مفعول به والفاء رابطة لجواب إذا واللام لام الأمر ويستأذنوا مضارع مجزوم باللام وكما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي استئذاناً كاستئذان الذين من قبلهم والذين فاعل ومن قبلهم متعلقان بالصلة ٠ (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين وآياته مفعول به والله مبتدأ وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان ٠ (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً) الواو استئنافية والقواعد مبتدأ ومن النساء حال واللاتي صفة للقواعد لا للنساء ، إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ وجملة لا يرجون صلة ويرجون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل ونكاحاً مفعول به ٠

(فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) الفاء واقعة في جواب الموصول لأن الألف واللام في القواعد بمعنى اللاتي

فعدن وجملة ليس خبر القواعد وعليهن خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزهـا في موضـع نصب بنزع الخافض أي في أن يضعن ثيابهن بمعنى ينزعن ثيابهن فيجوز النظر الى أيديهن ووجوههن وسيأتي مزيد بسط لهذه الآية في باب البلاغة ، وغـير متبرجات حال وبزينة متعلقـان بمتبرجات واعتبرها بعضهـم بمعنى اللام أي غـير مظهرات لزينة واعتبر آخرون الباء للتعـدية أي غير مظهرات زينة . وفي حاشية الشهاب على البيضاوي « قوله غير مظهرات زينة أشار به الى أن الباء للتعدية ولذا فسر بمتعد مع أن تفسير اللازم بالمتعدي كثير ويؤيده أن أهل اللغة لم يذكروه متعدياً بنفسه ولم نر من قال تبرجت المرأة حليها ، وليست الزينة مأخوذة في مفهومه حتى يقال : انه تجريد كما توهم فمن قال انه اشارة الى زيادة الباء في المفعول به فقد أخطأ » .

(وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) الواو عاطفـة وأن وما في حيزها مبتدأ وخير خبر ولهن متعلقان بخير أي والاستعفاف من الوضع خير لهن ، لماذكر الجائز أعقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها كقوله « وأن تعفوا أقرب للتقوى » « وأن تصدقوا خير لكم » والله مبتدأ وسميع خبر أول وعليم خبر ثان . (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا عـلى المريض حرج) كلام مستأنف مسوق لأمر اختلف العلماء في تأويله ، وأقرب ما ذكروه من تلك التأويلات : ان هؤلاء الطوائف الثلاث كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الاصحاء فإن الأعمى ربما سبقت يده الى أطيب الطعام فسبقت البصير اليه ، والاعرج يتفسح في مجالسه فيأخذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم ، والمريض لا يخلو من حالـة مؤذية لقرينه وجليسه ، فنزلت هـذه الآية وسيأتي في باب الفوائد بقية الاقوال .

وليس فعل ماض ناقص وعلى الاعمى خبرها المقدم وحرج اسمها المؤخر ولا على الاعرج حرج عطف على ما سبقه وكذلك ما بعده • (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) الواو استئنافية وما بعدها كلام مستأنف لتقرير إباحة ما حرموه على أنفسهم ففي القرطبي « انه لما أنزل الله « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وان الطعام من أفضل الاموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فنزلت » ولا نافية وعلى أنفسكم خبر مقدم وأن ومافي حيزها مبتدأ مؤخر ومن بيوتكم متعلقان بتأكلوا • (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو إخوانكم) عطف على ما تقدم وإخوانكم بمعنى إخوتكم • (أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم) عطف أيضاً على ما سبق. (أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) عطف أيضاً على ما سبق • (أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم) ما عطف على ما سبق وجملة ملكتم صلة ومفاتحه مفعول به والمراد بها أموال الرجل إذا كان له عليها قيم أو وكيل يحفظها له ، والمفاتح جمع مفتاح وتجمع على مفاتيح والمراد الخزائن ، وأو حرف عطف وصديقكم معطوف على ما سبق • (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) الجملة بدل من الجملة السابقة وأن تأكلوا أن ومافي حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن تأكلوا وجميعاً حال وأشتاتاً عطف على جميعاً والمعنى أنهم لما تحرجوا في الاجتماع على الطعام والمشاركة فيه لاختلاف الآكلين بيّن أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ومتفرقين وسيأتي مزيد بسط لهذا كله في بابي البلاغة والفوائد • (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دخلتم في محل جر باضافة الظرف اليها وبيوتاً نصب على المفعولية

على السعة ، وقد اختلف في المراد بهذه البيوت والصحيح أنها عامة لأنه لا دليل على التخصيص ، فسلموا الفاء رابطة وسلموا فعل أمر وفاعل وعلى أنفسكم متعلقان بسلموا وتحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو مرادفه كقعدت جلوساً وفرحت جزلاً ومن عند الله صفة لتحية أو بنفس التحية ومباركة صفة وطيبة صفة أيضاً أي يرجى بها زيادة الخير وتطيب بها نفس المستمع . (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين والآيات مفعول به ولعل واسمها وجملة تعقلون خبر لعل .

البلاغة :

١ ــ عكس الظاهر :

في قوله تعالى : « غير متبرجات بزينة » فن يطلق عليه بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر وبعضهم يسميه نفي الشيء بإيجابه وقد سبقت الاشارة اليه في كتابنا وهو من محاسن الكلام فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً ، أو أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي للموصوف أصلاً ومن أهم أبياته قول امرىء القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا

فاللاحب هو الطريق الواضح والمنار هو العلامة توضع على الطريق للهداية وفي الحديث « إن للدين صوى ومناراً كمنار الطريق »

وسافه شمـه والعود المسن من الابل والنباطي : الضخم وجرجر رغا وضج وأخرج جرته فقوله « لا يهتـدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .

وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتي لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة ، وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهن عن وضع الثياب خير لهن فما ظنك بذوات الزينة من الثياب ، وأبلـغ مافي ذلك أنه جعـل عدم وضع الثياب في حق القواعـد من الاستعفاف إيذاناً بأن وضع الثياب لا مدخـل له في العفة ، هـذا في القواعد فكيف بالكواعب ؟! .

٢ ــ الايضاح :

وفي قوله « ولا على أنفسكم الآية » فن الايضاح وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحـه في بقية كلامه ، والإشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي اعرابهـا ومعاني النفس دون الفنون ، وقد سبق ذكره في هذا الكتاب ، وهنا في هـذه الآية ترد عـلى ظاهرها أسئلة أولها : ما الفائدة في الاخبار برفع الجناح عمن أكل من بيته ؟ وكيف يظن أن على من أكل من بيته جناحاً ؟

وثانيها : لِمَ يذكر بيوت الأولاد كمـا ذكر بيوت غـيرهم من الاقارب القريبة ؟

وثالثها : ما فائدة قوله « أو ما ملكتم مفاتحه » وظاهر الحال أن هذا داخل في قوله « من بيوتكم » ؟

ورابعها : كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب ؟
والأجوبة التي تتضح بها هذه الاشكالات الأربعة هي :

الجواب الأول :

أما فائدة الإخبار برفع الجناح عمن أكل من بيته فإنما ذكر ذلك توطئة ليبني عليه ما يعطفه على جملته من البيوت التي قصد إباحة الأكل منها ، فإنه إذا علم أن الانسان لا جناح عليه أن يأكل من بيته فكذلك لا جناح عليه أن يأكل من هذه البيوت ليشير الى أن أموال هذه القرابة كمال الانسان ، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوي الى الازواج ، فيكون سبحانه قد أدمج في ذلك الحض على صلة الارحام ومعاملتهم معاملة الانسان نفسه .

الجواب الثاني :

وأما عدم ذكر بيوت الأولاد فإنما ذكر من الأموال ما يظن بأن الأكل منه محظور فاحتاج الى بيان الاباحة ، وأما أموال الأولاد فتصرف الوالدين فيها كتصرفهم في أموالهم أنفسهم ، لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ، ألا ترى أن الشرع يوجب على الولد نفقة الوالدين إذا كانا محتاجين ؟ وفي الحديث : « إن طيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه » .

الجواب الثالث :

وأما زعم القائل بأن الكلام فيه تداخل لأن قوله « أو ما ملكتم مفاتحه » هو ما في بيوتهم فإنه يحتمل أن يراد بما في البيوت المال التليد

العتيد وما ملك الانسان مفاتحه : المال الطريف، المكتسب الذي يتسبّب الانسان في تحصيله ويتعب في اكتسابه •

الجواب الرابع :

وأما سر التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الاقارب فهو تعريف حق الصديق الذي ساوى باطنه ظاهره في اخلاص المودة ، ولا يسمى صديقاً حتى يكون كذلك ، فإن اشتقاق اسمه من صدق المحبة وصفاء المودة وهو الذي أشار اليه سبحانه بقوله « ولا صديق حميم » فإذا كان الصديق بهذه المثابة وعلى هذه الصفة ساوى هذه القرابة القريبة فليس على الانسان جناح إذا تصرف في ماله تصرفه في مال نفسه •

فنون أخرى في الآية الكريمة :

هذا وقد اشتملت هذه الآية الكريمة بعض إيضاح هذه الإشكالات على تسعة أضرب من فنون البديع ندرجها فيما يلي مع التلخيص والاختصار:

آ ـ صحة التقسيم : وذلك لاستيعاب الكلام جميع أقسام الأقارب القريبة بحيث لم يغادر منها شيئاً •

ب ـ التهذيب : وذلك في انتقال الكلام على مقتضى البلاغة في هذا المكان ، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب كما جاء فيها •

جـ ـ حسن النسق : وذلك في اختياره « أو » لعطف الجمل وهي تدل على الاباحة •

د ـ الكناية : فقد كنى سبحانه عن الأموال بالبيوت التي هي حرز الأموال ومقرها من باب تسمية الشيء بما جاوره ، كقولهم : سال الميزاب وجرى النهر •

هـ ـ المناسبة : وذلك بمناسبة الألفاظ بعضها ببعض في الزنة وهي واضحة في لفظة آبائكم وأخوانكم وأعمامكم وأخوالكم .

و ـ المثل : وذلك في قوله : « ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً وأشتاتاً » خرج مخرج المثل السائر الذي يصح أن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته .

ز ـ التذييل : فإن الكلام الذي خرج مخرج المثل جاء تذييلاً لمعنى الكلام المتقدم لقصد توكيده وتقريره .

ح ـ المطابقة : وذلك في قوله « جميعاً أو أشتاتاً » فإن هاتين اللفظتين تضادتا تضاداً أوجب لهما وصفها بالمطابقة لأن المعنى جميعاً أو متفرقاً .

ط ـ المقارنة : وذلك في موضعين : أحدهما اقتران التمثيل بالتذييل كما تقدم بيانه ، والثاني اقتران المطابقة بالتمكين فإن فاصلة هذا الكلام في غاية التمكين .

الفوائد :

ذكرنا في باب الاعراب أقرب الوجوه في تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حرج » الآية ووعدناك بأن نورد بقية الوجوه التي ذكرها المفسرون : فقد كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها ، فخالج قلوب المطعِمين والمطعَمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم

فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق لقوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك .

وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون ، حكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازياً وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهوداً فقال : ما أصابك ؟ قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل لي ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا منه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت .

وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام قوله « ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾

اللغـــة :

(يتسللون) : ينسلون واحداً بعد واحد أو قليلاً قليلاً .

(لواذاً) : في القاموس : « اللوذ بالشيء الاستتار والاحتصان به كاللــواذ مثلثة واللـيــاذ والمــلاوذة والاحاطة كالإلاذة وجانب الجبل وما يطيف به ومنعطف الوادي والجمـــع ألواذ » وكــان المنافقون يخرجون متسترين بالناس من غــير استئذان حتى لا يُروا ، والمفاعلة لأن كلاً منهما يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وانما صحت الواو في نواذاً مع انكسار ما قبلها لأنها تصح في الفعل الذي هو لاوذ ولو كان مصدر لاذلكان لياذ مثل صام صياماً وقام قياماً .

(يخالفون) : يقال خالفه الى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه .

الاعراب :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي في مجالسه وخطبه .

وانما كافة ومكفوفة والمؤمنون مبتدأ والذين خبره وجملة آمنوا بالله ورسوله صلة الموصول أي هؤلاء هم المؤمنون الكاملو الايمان ، أما

المنافقون فكانوا إذا جلسوا في مجلسه يرامقون أصحابه فإن بدرت لهم منهم غفلة عنهم تسللوا لواذاً وذهبوا خفية من غير استئذان . (وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة كانوا في محل جر باضافة الظرف اليها والواو اسم كان ومعه ظرف متعلق بمحذوف خبر وعلى أمر متعلقان بمحذوف حال ولك أن تعكس الأمر وجامع صفة لأمر كالحروب وصلاة الجمعة والعيدين وسيأتي معنى اسناد الجمع للأمر في باب البلاغة ، وجملة لم يذهبوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وحتى حرف غاية وجر ويستأذنوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ويستأذنوه فعل وفاعل ومفعول به . (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) ان واسمها وجملة يستأذنونك صلة ، وأولئك مبتدأ والذين خبره وجملة يؤمنون بالله ورسوله صلة الموصول ، والجملة الاسمية خبر إن . (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فائذن لمن شئت منهم) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة استأذنوك مجرورة باضافة الظرف اليها ولبعض شأنهم متعلقان باستأذنوك بمثابة التعليل للاستئذان ، فائذن الفاء رابطة لجواب إذا وائذن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولمن متعلقان به وجملة شئت صلة ومنهم حال وفيه تفويض الأمر لرأي رسول الله . (واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) واستغفر عطف على فائذن ولهم جار ومجرور متعلقان باستغفر وجملة ان الله غفور رحيم تعليل للاستغفار فلا محل لها . (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) اضطربت عبارات المفسرين في تفسير هذا التعبير وأقرب ما قيل فيه : لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم لبعض فتتلكئون وتحجمون كما يتلكأ ويحجم بعضكم عن بعض إذا دعاه لأمر فالمصدر

وهو دعاء مضاف الى الفاعـل ويجوز أن يكون مضافاً الى المفعول أي دعاءكم الرسول ونداءكم له كدعاء ونداء بعضكم لبعض • ولا ناهية وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل ودعاء الرسول مفعول به وبينكم ظرف متعلق بمحذوف حال والكاف بمعنى مثل مفعول به ثان وبعضكم مضاف لدعاء وبعضاً مفعول به لدعاء ونصبه بعضهم بنزع الخافض أي لبعض وذلك متحتم عندما يقدر دعاء مضافاً لمفعوله • (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً) قد هنا بمعنى ربمـا وذلك مطرد في دخولها على المضارع وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد، ويعلم الله فعل مضارع وفاعـل وجملة يتسللون صلة ومنكم متعلقان بيتسللون ولواذاً يجوز أن ينصب على المصدر من معنى الفعل إذا كان التقدير يتسللون منكم تسللاً أو يلاوذون لواذاً ، ويجوز أن يكون مصدر في موضع نصب عـلى الحال أي ملاوذين • (فليحـذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفاء الفصيحة أو عاطفة على « قد يعلم » لأنها مترتبة عليه واللام لام الأمر ويحذر فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والذين فاعل وجملة يخالفون صلة ومفعول يخالفون محذوف وهو الله تعالى لأنه الآمر وجيء بـ « عن » لتضمنه معنى الصد والاعراض وأن يصيبهم مفعول يحذر وفتنة فاعل أو يصيبهم عذاب أليم عطف على أن تصيبهـم فتنة • (ألا إن لله مافي السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتكثير كما تقدم وكما سيأتي ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى وما ممعول به وأنتم مبتدأ وعليه خبر والجملة صلة • (ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) ويوم عطف على مفعول يعلم أي ويعلم ما يرجعون وجملة يرجعون صلة ويرجعون بالبناء للمجهول ، فينبئهم عطف على

يعلم والهاء مفعول وبما عملوا في موضع المفعول الثاني والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر •

الفوائد :

تقدم القول في « قد » ونضيف هنا أنها إذا دخلت على المضارع أفادت التكثير وكانت بمعنى « ربما » ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

فـ « قد » هنا للتكثير وإلا لم يكن مدحاً ، والثقة من وثق كالعدة من وعد ، وإسناد الإهلاك الى الخمر مجاز عقلي وكذلك إسناده الى النائل أي العطاء ، والمراد وصفه بالكرم ، ومن أمثلة « ربما » قول ابن عطاء السندي يرثي ابن هبيرة :

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدي مأتم وخدود
فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

وواسط موضع الواقعة التي قتل المنصور فيها ابن هبيرة ، والمأتم مكان الإقامة استعمل في جماعة النساء الحزينات مجازاً وجمعه مآتم ، يقول : إن كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم شديدة الجمود • وعشية بدل من يوم ، وجيب القميص مخرج الرأس منه أي مزقت الجيوب والخدود بأيدي النساء ، ثم التفت الى الخطاب ، وقوله فإن تمس مهجور الفناء كناية عن الموت ، فربما أي كثيراً أقام بفناء بيتك جموع من الناس بعد جموع يستمنحونك ، فإن يهجر فناؤك الآن فلا حزن لأنه كثيراً ما اجتمع فيه الناس ومنحوا خيراً •.